فيك فانس وبيار لوير

الملك حسين

حربنا مع إسرائيل

دار النهار للنشر

دار النهار للنشر
بيروت ١٩٦٨

المحتويات

تمهيد	صفحة ٩
حتمية النزاع	١١
الهجوم الاسرائيلي (١٩٦٦)	٢٢
التدهور	٢٧
لقاء مع عبد الناصر	٣١
معاهدة الدفاع الاردنية ـ المصرية	٣٥
عودة الملك ومعه الشقيري	٤٢
قبل الحرب	٤٤
الهجوم الاسرائيلي الكبير	٤٩
محاولة اسرائيلية ضد الحسين	٥٥
تدمير الطيران الاردني	٥٨
تدمير الدبابات الاردنية	٦١
الانهيار	٦٤
التراجع الاردني	٧٠
حصيلة انكسار	٨٠
بعد الحرب	٩٤
والان	١٠١
وصفي التل	١٠٦
يحيى حموده	١١١
الفدائيون	١١٧

تمهيد

عن « الحرب الخاطفة » ، حرب حزيران ١٩٦٧ قـال الجانب الاسرائيلي كل شيء تقريبا .

أما ما حدث فعلا في الجهة المقابلة ، اي عند الجانب العربي ، فقد ظل غامضا ، حتى لا نقول مجهولا .

فمن الاهمية بمكان والحالة هذه معرفة موقف الملك حسين الذي يمكن اعتباره ناطقا بلسان المعسكر العربي .

لماذا ؟

لان الاردن مرتبط جغرافيا وبشريا وسياسيا واقتصاديا بمصير جارته اسرائيل أكثر من اية دولة عربية أخرى ...

ولان الاردن وجد نفسه في حزيران ١٩٦٧ مسوقا الى الاشتراك في نزاع كان يعرف سلفا انه لن يخرج منه بأي كسب ...

ولان الاردنيين كانوا اثناء النزاع الوحيدين في المعسكر العربي الذين احترموا تعهداتهم ونفذوها بأمانة ...

ولان الاردنيين ، بعد انسدال الستار على المأساة الجديدة التي اسفرت عن تقطيع أوصال وطنهم ، هم من اول من نشطوا بأسلوب بناء ، للبحث عن حل للقضية الفلسطينية .

ولما كان الملك حسين الزعيم العربي الوحيد الذي اشترك شخصيا في معارك حزيران ١٩٦٧ ، فشهادته هي ولا شك شهادة رئيسية وذات قيمة عظمى .

وما نضعه في متناول القراء هو تقرير يشتمل على ما سمعنا ورأينا بفضل الواقعية والصدق اللذين يتحلى بهما رئيس الدولة الاردنية ... مع العلم ان القصد ليس الادانة ولا توجيه النقد والاتهام ولا الدفاع عن النفس بايراد المبررات . فالملك حسين قد اكتفى بايراد العوامل التي سببت قضية حزيران ١٩٦٧ ، وتحدث عن هذه القضية ونتائجها من غير ان يحاول مرة واحدة التنصل من التبعات التي تقع على عاتقه .

وما سمعناه من فم الملك حسين بذلنا قصارى جهدنا لنقله بأمانة .

فيك فانس — بيار لوير

الفصل الاول
حتمية النزاع

« كل ما اعددناه
جعله التخريب هباء »

« منذ اليوم الذي انسحبت فيه قوات الامم المتحدة من قطاع غزه توقعت نتائج هذه الخطوة . كان الامر واضحا بالنسبة الي : لم يبق مفر من الحرب مع اسرائيل .

ذلك ان الاسرائيليين كانوا يعملون جاهدين في سبيل افتعال وضع شبيه بالوضع الذي نشأ قبل نزاع ١٩٥٦ ، فتوسعوا في نشر أخبار هجمات الفدائيين العرب واستغلوا هذه الهجمات بمهارة بفضل دعاية مركزة تستهدف استدرار عطف العالم عليهم .

وفي هذا الوقت كان العرب في وضع لا يحسدون عليه ، واني اسوق ، للتدليل على ذلك ، الحوادث الآتية وهي غيض من فيض :

ــ الاعتداء الاسرائيلي على «السموع» في تشرين الثاني ١٩٦٦ .

ــ تدهور الموقف على خط الهدنة السوري . وقد بلغ هذا التدهور ذروته في ٧ نيسان ١٩٦٧ ، خلال الاشتباك الجوي الذي سببه تحليق سلاح الجو الاسرائيلي في الاجواء السورية (كانت حصيلة هذا العدوان ست طائرات ميغ سورية اسقطها العدو في غضون ساعة) .

ولا ننسى تهديدات أشكول ومسؤولين اسرائيليين آخرين بالهجوم على المواقع السورية واحتلالها عند الاقتضاء اذا استمرت دمشق في دعم الفدائيين التابعين لمنظمة التحرير الفلسطينية . وقد ردت العاصمة السورية بدعوة سفراء الدول الكبرى واحاطتهم علما بنيات اسرائيل العدوانية ، وهي نيات تنم عنها الحشود الاسرائيلية الكثيفة على الحدود .

هذه السلسلة من الحوادث هي التي حملت عبد الناصر على حشد قوات في سيناء لاغراض دفاعية . ذلك أن الجمهورية العربية المتحدة

وسوريا كانتا قد بعثتا ميثاق الدفاع المعقود بينهما وذلك منذ اليوم التالي للاشتباك الجوي الذي وقع في السابع من نيسان. والجدير ذكره ان هذا الميثاق الذي انفردت بعقده الدولتان انما عقد في اعقاب فشل آخر مؤتمر قمة عقدته الدول العربية في الدار البيضاء في شهر أيلول من العام ١٩٦٥ ، فقد سلكت مناقشات المؤتمرين طريقا مسدودا مما أدى الى شل نشاط القيادة العربية الموحدة .

ولتقدير خطورة غياب القيادة العربية الموحدة من جهة ، ومن جهة أخرى انفراد دولتين عربيتين بعقد ميثاق عسكري متجاهلتين وجود ميثاق الدفاع المشترك ، لا بد من القاء نظرة الى الوراء للوقوف على أوضاع الجيوش العربية في ذلك الحين .

فبين كانون الثاني ١٩٦٤ وايلول ١٩٦٥ عقد الزعماء العرب ثلاثة مؤتمرات قمة في القاهرة والاسكندرية والدار البيضاء . وقد التأم المؤتمر الاول بطلب من عبد الناصر في ١٧ كانون الثاني ١٩٦٤ . ولا بد من الاشارة الى اني ، قبل ١٨ شهرا من انعقاد مؤتمر القمة في القاهرة ، وبالتحديد في ٢ تموز ١٩٦٢ ، اذعت بيانا بعنوان « الاردن والقضية الفلسطينية والعلاقات العربية » وقد ضمنت البيان وجهة النظر الاردنية التي تشدد على الطابع الحيوي الذي بات يتسم به انشاء وحدة عربية حقيقية . مع العلم اني ما فتئت أردد ان الوحدة العربية عنصر اساسي بل رئيسي في طموحنا الى نيل ما هو حق من حقوقنا . لهذا رحبت عام ١٩٦٤ ببادرة عبد الناصر واعتبرت انعقاد مؤتمر قمة عربي خطوة لا بأس بها نحو الوحدة المنشودة .

اما جدول أعمال مؤتمر القمة الاول فقد أعطيت فيه الافضلية للوسائل التي ينبغي اللجوء اليها لمنع اسرائيل من تحويل مياه الاردن لمصلحتها . اي انه كان علينا ان نحمي المصالح العربية ولكن كيف ؟

عقبة اولى ذات شأن غلت ايدينا عن اعتماد الحل العسكري . فاللجوء الى القوة عام ١٩٦٤ لم يكن ممكنا ولا معقولا بسبب الاوضاع السياسية والعسكرية السائدة في معظم البلدان العربية . لهذا ارتأينا أنه من الافضل ، بانتظار الظرف المؤاتي للجوء الى السلاح ، أن نبدأ نحن تحويل مجاري روافد الاردن ، للحد من الاضرار التي تلحقها بنا مشاريع الري الاسرائيلية . ووجدنا في الوقت نفسه انه ينبغي لنا ان نبادر الى

احداث جهاز يتولى انشاء قوة عربية مسلحة ينسق وسائلنا العسكرية المشتركة ، وذلك لمواجهة اي تهديد من جانب اسرائيل . وقد أطلقنا على الجهاز اسم « القيادة العربية الموحدة » ووضعنا القائد المصري علي علي عامر على رأس هذا الجهاز .

لقد كانت قضية تحويل مياه الاردن الباعث الرئيسي على انعقاد مؤتمر القمة الاول ، غير ان القضية الفلسطينية ظلت تحتل مكانها الارفع في جدول الاعمال . فقد اقترحت الجامعة العربية انشاء منظمة التحرير الفلسطينية واختارت هي أحد كبار موظفيها السيد أحمد الشقيري رئيسا لهذه المنظمة . ووافقنا على هذه الخطوة رغبة منا في افحام اسرائيل التي تحاول ان تدخل في روع العالم ان لا وجود لما يسمونه القضية الفلسطينية ، مرتكزة على وجهة نظر تقول ان الفلسطينيين فقدوا هويتهم الوطنية بعد أحداث ١٩٤٨ ، ما داموا قادرين على احراز الجنسية الاردنية . وهذا الادعاء الذي يستهدف طي القضية الفلسطينية يقوضه تمسك الفلسطينيين بحقهم الذي اعترفت به مقررات الامم المتحدة .

والقضية الفلسطينية تعنينا نحن الاردنيين اكثر مما تعني أي بلد عربي آخر . انها تعنينا مباشرة ، لهذا رحبنا من حيث المبدأ بقيام منظمة التحرير واعلنا استعدادنا لدعمها دعما مطلقا ولكن بشرط هو ان تتعاون المنظمة مع الاردن تعاونا صادقا .

ولا بد من التنويه بأن الاردن عامل اللاجئين الفلسطينيين معاملة فريدة لم يتوفر لهم مثلها في الاقطار العربية الاخرى . فقد عملنا جاهدين في سبيل جعل ثلث سكان فلسطين يؤلف مع الاردنيين شعبا واحدا من ضفة الاردن الغربية الى ضفته الشرقية . واتحنا لكل فلسطيني احراز الجنسية الاردنية بموجب طلب بسيط يتقدم به ، كما أتحنا له التمتع بالحقوق التي يتمتع بها المواطن الاردني وذلك في شتى الحقول والمجالات .

اما البلدان العربية الاخرى فقد اكتفت بفتح أبوابها لدخول الفلسطينيين كلاجئين لا يتمتعون بأي حق ، اللهم سوى حق الاقامة داخل المخيمات بانتظار حل ما .

لهذا اشترطنا تعاون منظمة التحرير معنا تعاونا مخلصا ، اي اشترطنا امتناعها عن كل نشاط من شأنه احداث الشقاق بيننا ، لاننا

حريصون على استمرار الدمج الذي تحقق بعد مشاق كثيرة .

تبدو الاوضاع العسكرية في البلدان العربية مرضية الى حد اذا نظرنا اليها مجتمعة . ولكنها لا تبدو كذلك اذا نظرنا الى امكانات كل دولة على حدة ، ولا تسمح لنا بالتالي بمواجهة مغامرة عسكرية جدية . وهذا الواقع هو الذي أملى علينا احداث جهاز مسؤول عن تنظيم امكاناتنا الدفاعية المشتركة وتنسيقها ، وقد بدا لنا ان في جملة العوامل الرئيسية التي تحتم قيام قيادة عربية موحدة اختلال توازن القوى بين العرب واسرائيل لمصلحة هذه . فمن جهة نرى اسرائيل تنعم باستقرار داخلي وتبلغ بقوة عسكرية ارفع مراتب النمو والتطور ، ومن جهة أخرى نرى المجموعة العربية الموزعة على منطقة شاسعة تتخبط في مشاكل دقيقة من سياسية واقتصادية ، كان ابرزها عام ١٩٦٤ انعدام الاستقرار في اكثر من بلد عربي .

لنفرض ان عدوانا اسرائيليا وقع على الاردن والحالة كما ذكرت ، فهل يعقل ان يعتمد الاردن على تدخل سريع وفعال من جانب القوات الجزائرية أو المغربية مثلا ؟

لقد ارتأى بعضهم في مؤتمر القاهرة تطويق اسرائيل لارغام تل أبيب على وقف أعمال تحويل مياه الاردن ، وهو اقتراح لم يكن بالامكان الاخذ به لاسباب عدة ، منها ان الجيوش العربية مجهزة باعتدة مختلفة ومتنافرة ، بعضها مستورد من الغرب وبعضها الاخر من الشرق . يضاف الى ذلك تباين أساليب التدريب وكل ما له صلة بالتقنية بوجه عام . ومنها كون مفاهيم القتال مستمدة من قواعد ونظريات منوعة ودروس القاها مدربون أجانب من مختلف الجنسيات . فبديهي والحالة هذه أن يكون كل بلد عربي قد اعتمد سياسة دفاعية خاصة به ، منسجمة ومعتقداته السياسية ، سياسة ان هي خدمت مصالحه فقد تتعارض والمخطط الستراتيجي لهذا البلد الشقيق او ذاك .

فكيف يمكن القيام بعمل عربي مشترك والحالة ما ذكرت ، بالاضافة الى عجز عدد من الدول العربية عام ١٩٦٤ عن المساهمة بجدوى في عملية مشتركة ، من جراء التزامات في السياسة الداخلية تشل حركتها ،

وهي التزامات ما كانت لتكون لولا انعدام كفاءة الحكام وهزال شخصيتهم .

انطلاقا من هذه المعطيات نصل الى المبدأ الاتي : حيال اسرائيل الموحدة الكلمة ينبغي للعرب أن يحققوا وحدتهم بأي ثمن . ولبلوغ هذا الهدف كانت أولى الخطوات الايجابية لمؤتمر القاهرة انشاء القيادة العربية الموحدة وجعلها مشرفة على قواتنا الدفاعية مجتمعة .

غير أن عامل الوقت يجب ان يدخل في الحساب : فاسرائيل تشكل رقبة جسر يهدد في كل لحظة بالانفجار ما دامت المشكلة الناجمة عن وجودها ، أي اسرائيل ، مستعصية الحل . من هنا ضرورة الاسراع بتحقيق الوحدة العسكرية العربية .

ففي الاصل كانت اسرائيل وجودا دينيا يجتذب الى الوطن العربي يهودا من مختلف أنحاء العالم ، ولكن الهدف من قيام اسرائيل بدا أشد خطورة وخطرا مع الايام بدليل التغييرات الجغرافية التي طرأت لمصلحتها بفعل السياسة التوسعية ... فأين اسرائيل التي انشأتها الامم المتحدة عام ١٩٤٧ من اسرائيل ١٩٤٨ ، وأين هذه من اسرائيل ١٩٥٦ ثم اسرائيل ١٩٦٧ ؟ اليس في هذا دليل على مدى التهديد الاسرائيلي للعالم العربي كله ؟

بالرغم من هذا الواقع ، اصطدمت المحاولات الرامية الى تحديد مهمة القيادة الموحدة في مؤتمر القمة الثاني الذي انعقد في الاسكندرية بين ٥ و١٢ أيلول ١٩٦٤ — اصطدمت تلك المحاولات بعقبات شتى من كل نوع . وبعد عام وخلال انعقاد مؤتمر القمة الثالث في الدار البيضاء (١٩ أيلول ١٩٦٥) عرضنا نتائج العمل المشترك الذي بدأناه منذ لقائنا الاول في القاهرة في الحقلين السياسي والعسكري .

في الحقل العسكري بدأت القيادة العربية الموحدة تسجل بعض التقدم ، لكن تبين انها تحتاج الى موارد مالية اضافية لتتمكن خلال المدة المحددة لها (ثلاث سنوات) من تحقيق الغاية من انشائها : اعادة التوازن بين القوات العربية والقوات الاسرائيلية . وهذا التوازن لا يكون مجديا ما لم ترجح كفة العرب ولو قليلا بحيث تعد اسرائيل العشرة قبل القيام بأية مغامرة . ولبلوغ هذا الهدف علينا ان نسهل مهمة القيادة الموحدة خلال الفترة الاعدادية وان نوفر لها الموارد المالية التي تمكنها

من مواجهة بعض القضايا الملحة ، كأنشاء سلاح جوي قوي في الاردن مثلا . ذلك اننا نحن الاردنيين لا قبل لنا على القيام بهذه الخطوة الضرورية للقضية العربية ، والتي بدونها لا يمكن انشاء جيش عصري ذي فعالية . هذا مع العلم ان انشاء سلاح جوي لا يتطلب شراء الطائرات وحسب ، بل انشاء قواعد جوية واجهزة رادار ، فضلا عن الوقت الذي تستغرقه تنشئة الطيارين وتدريبهم ، وتنشئة العاملين في المطارات وورش التصليح الخ ...

اصطدم مطلب القيادة الموحدة بشأن الاعتمادات الاضافية برفض غالبية الزعماء العرب الذين اعلنوا عجزهم عن تأمين الاعتمادات ، وتقررت مطالبة الفريق اول علي علي عامر تدبر ما يحتاج اليه باقتطاع المبالغ اللازمة من ابواب موازنته . ولكن المؤتمر توصل الى اتخاذ قرار يقضي بالعمل على حل المشاكل العربية القائمة ، باعتبار ان هذه المشاكل وما تستنزفه من أموال تعرقل مهمة القيادة العربية الموحدة .

من هذه المشاكل اورد على سبيل المثال لا الحصر :

الحرب في اليمن التي تتواجه فيها الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية .

الحملات العراقية في شمالي البلاد ضد الاكراد المتمردين .

ولا حاجة بي الى الوقوف عند سلسلة المشاكل والازمات الداخلية في بعض الدول العربية ، وهي أزمات ومشاكل مردها الى انعدام النضج السياسي او الى التهافت على الحكم .

فلو وجدت حلول لهذه المشاكل ، وبتعبير آخر لو ان الدول المعنية شاءت بالفعل حل مشاكلها ليتسنى لنا نحن العرب بلوغ الهدف المشترك ، لكان العالم العربي قد خطا خطوات واسعة الى الامام ولكان قد وضع موضع التنفيذ برنامج العمل المشترك . وحتى لو لم يتسن لنا في نهاية السنوات الثلاث انجاز مشاريعنا ، حتى في هذه الحالة نكون قد اكتسبنا خبرة ثمينة وحققنا اللحمة فيما بيننا وبلغنا مستوى محترما .

كل هذا كان أمرا ملحا بالنسبة الينا . فأسرائيل تعمل جاهدة في سبيل انماء امكاناتها الحربية وتطويرها . وتصنع ، بفضل وسائلها العلمية ، أسلحة حديثة ، خصوصا في حقل التسلح الذري ، وتنشىء جيشا قادرا على استعمال هذه الاسلحة استعمالا مجديا . وهذا

الاستعداد يؤدي بالنتيجة الى الاخلال مرة أخرى بتوازن القوى .

كان علينا اذن أن ننفذ برنامجنا في الوقت المحدد لنتمكن من خلق ظروف كفيلة بلفت انتباه العالم الى القضية الفلسطينية ووجوب ايجاد حل لها . مع العلم أن نجاح مخططنا كان قمينا بأن يجعل العالم العربي في وضع لم يكن له مثله قط في وقت من الاوقات .

ولا بد من أن أضيف الى المصاعب التي اعترضت مشروع القيادة العربية الموحدة ، النشاطات غير المرغوب فيها من جانب منظمة التحرير الفلسطينية .

فأثناء مؤتمر القمة الاول الذي انعقد في القاهرة عام ١٩٦٤ حذر بعض الرؤساء كما حذرت القيادة العربية الموحدة المؤتمرين من مغبة استفزاز اسرائيل واعطائها مبررا تتذرع به لشن حرب لم يئن أوانها . وعملا بهذا التوجيه تلقينا نحن في عمان تعليمات تقضي بالسعي لوقف نشاط الفدائيين خلال فترة اعداد الجهاز الدفاعي المشترك ، وذلك تجنبا للوقوع في مأزق شبيه بمأزق ١٩٥٦ ... وبتعبير آخر ينبغي لنا ان نتجنب كل عمل من شأنه أن يخلق مناسبة تتذرع بها اسرائيل لاثارة نزاع قبل أن نكون مستعدين للرد .

وكان نشاط الفدائيين قد بدأ يسترعي الانتباه في أعقاب مؤتمر القمة الاول . فلو ان الفلسطينيين أرادوا فعلا خدمة قضية وطنهم ولفت انتباه الدول العربية والعالم كله الى مشكلتهم ، لنشط المسؤولون في صفوفهم قبل انعقاد مؤتمر القمة الاول لا بعد ارفضاضه ، لاننا في اجتماعات القاهرة حاولنا للمرة الاولى ان نفعل شيئا محسوسا وان نخطو خطوة ايجابية في سبيل القضية الفلسطينية .

ويمكن القول ان كل ما شرعنا في اعداده قد نسفته عمليات قام بها الفدائيون في وقت غير مناسب . وقد أدركنا خطورة هذا الامر وعواقبه .

فلما عقد مؤتمر القمة الثالث والاخير في الدار البيضاء كررنا تحذيرنا لمنظمة التحرير الفلسطينية من مغبة نشاط الفدائيين خلال انهماك الدول العربية بتنسيق جهودها استعدادا لمواجهة اسوأ الاحتمالات .

لقد كنت أنا شديد الحذر لان الهدوء النسبي في المنطقة لم يكن ظاهرة طبيعية يصح الركون اليها ، ففي وسع اسرائيل وضع حد لهذا الهدوء متذرعة بـ « النشاط الارهابي » . وجاءت الاحداث تثبت ان

حذري كان في محله . فبعد مؤتمر الدار البيضاء بوقت قصير نشبت أزمة عنيفة بين الاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ، فاهتزت من جراء ذلك مرتكزات الوحدة الضرورية لعالم العربي وانهار صرح التضامن بين الدول العربية .

ذلك ان منظمة التحرير الفلسطينية أضحت منذ ١٩٦٥ دولة في قلب كل دولة عربية ، تتصرف على هواها . وقد أدت تصرفاتها ، بالاضافة الى العوامل التي أسلفت ذكرها ، الى شل نشاط القيادة العربية الموحدة . »

وبصدد نشاطات منظمة التحرير بيَّن السيد وصفي التل رئيس الحكومة الاردنية في ذلك الحين ، لماذا وكيف تجاهل فدائيو المنظمة بسرعة سلطة الزعماء العرب ، قال :

« قبل انعقاد مؤتمر القمة الاول كان الفدائيون يشكلون حركة مستقلة (لم تكن منظمة التحرير قد انشئت بعد) محدودة النشاط . وقد اتسع نشاطهم عقيب انتهاء اجتماعات القاهرة التي اعتبرها العديد من العرب مخيبة للآمال . أما السبب فهو أن بعضهم كان يردد باستمرار: اذا أقدم الاسرائيليون على تحويل مجرى نهر الاردن فالدول العربية ستلجأ فورا الى السلاح لمنع التحويل .

« وعندما شرع الاسرائيليون في تحويل مجرى النهر اتجهت الانظار الى عبد الناصر ، فما كان منه الا أن دعا الى عقد مؤتمر القمة الاول . وما أن اطلع الفدائيون الفلسطينيون على نتيجة المؤتمر حتى قالوا انها مناورة قام بها عبد الناصر لتهدئة العرب وابقائهم تحت اشرافه وسيطرته. وبدأوا مذ ذاك يعملون مستقلين لحسابهم وبصورة جدية لم نألفها منهم قبل مؤتمر القاهرة ، مع ان منظمة التحرير قد انبثقت من هذا المؤتمر وعززت بجيش يخضع لاشراف أحمد الشقيري .

« وبعد مؤتمر القمة الثالث قام خلاف علني شديد بين مصر والمملكة السعودية بسبب اليمن ، وبين مصر والاردن بسبب منظمة التحرير الفلسطينية . ومذ ذاك لم يعد واردا عقد مؤتمر قمة رابع .

« وفي العام ١٩٦٦ أغلقت أنا بصفتي رئيسا للحكومة ، مكاتب

منظمة التحرير في الاردن ، لان اركان هذه المنظمة بدأوا يقومون بنشاط سري واسع النطاق محاولين بذر بذور الشقاق والتفرقة بين سكان الضفتين الشرقية والغربية ، وقد ضموا الى صفوفهم عناصر تنتمي الى أحزاب سياسية غير معترف بها في الاردن ، عنيت البعثيين والشيوعيين والقوميين العرب اليساريين . وكان هدفهم اقامة نظام حكم جديد على انقاض الملكية .

« لهذا وضعنا حدا لنشاط منظمة التحرير الفلسطينية في بلادنا . وسرعان ما ازدادت سوءا العلاقات بيننا وبين سوريا ومصر وازدادت متاعبنا تبعا لذلك .

« كانت منظمة التحرير حركة سياسية لا علاقة لها بالفدائيين . وكان لها جيش متمركز في مصر وغزه وسوريا وحتى في العراق ، أما في الاردن فقد رفضنا السماح للمنظمة بانشاء جيش أو بأرسال قوات تابعة لها الى بلادنا . فالفلسطينيون المقيمون في الاردن أضحوا مواطنين أردنيين ، والحكمة تملي علينا تجنب كل ما من شأنه وضع المملكة الهاشمية في مهب الخلافات التي تهب رياحها عند الاخرين .

« وموقفنا هذا من منظمة التحرير كان أحد عوامل الخلاف بيننا وبين القاهرة ودمشق .

« وجدير بالذكر ان المنظمة التي اتخذت من سوريا قاعدة لها ومنطلقا راحت تهاجم اسرائيل من الاراضي الاردنية بدل أن تشن هجماتها الخاطفة من الاراضي السورية ، فأنبرى الاسرائيليون للرد بمهاجمة الاردن وسوريا ، وسرعان ما تفاقم خطر العدوان على الدولتين العربيتين ... والتهديد الاسرائيلي لسوريا هو الذي حمل عبد الناصر على اتخاذ التدابير التي جرت الجميع الى الحرب .

« حقا انها لحلقة مفرغة ، جهنمية » .

على اثر اقدام حكومة التل على اغلاق مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في الاردن والقيت خطابا في مدرسة تخريج المعلمين في عجلون في ١٤ تموز ١٩٦٦ ضمنته الاسباب التي أدت الى تلك الخطوة ، وأكدت اخلاص الاردن للقضايا العربية ولا سيما القضية الفلسطينية ، وهذه

خلاصة ما قلته :

— ان القضية الفلسطينية لم تعد تعني الفلسطينيين وحدهم . انها تعني العالم العربي كله منذ ١٩٤٨ اي منذ اليوم الذي دخلت فيه الجيوش العربية الاراضي الفلسطينية .

— لقد سلكت القضية الفلسطينية الطريق القويم عام ١٩٦٤ اي منذ شروع الدول العربية في معالجة قضاياها المصيرية في مؤتمرات قمة .

— وضع أول مؤتمر قمة عقد في القاهرة القضية الفلسطينية فوق الخلافات والمنازعات والمبادىء المتنافرة ، هذه العوامل التي تسيء الى مرتكزات التعاون والتضامن العربيين .

— ان كل عملية يقوم بها الفدائيون خارج اطار المقررات التي اتخذها الملوك والرؤساء في المؤتمر هي عملية عقيمة ، بل مضرة .

— أردنا أن تكون منظمة التحرير الفلسطينية مرآة تعكس وحدة فلسطين العربية ، واداة لتجميع الطاقات ، وجهازا تنخرط فيه جميع القوى الفلسطينية الفاعلة . لكن المنظمة لم تعد حركة تحرير بعدما أضحت خاضعة لتأثير الشيوعية ... لقد انحرفت عن الطريق القويم لتغدو خلية تلتقي فيها عناصر الشقاق العاملة على تقويض الوحدة العربية .

— نحن نؤمن بأن وحدة ضفتي الاردن تشكل نواة الوحدة العربية الكبرى ، أما الذين يريدون الفصل بين الضفتين فأنهم يعملون على نسف وحدة البلاد والوحدة العربية .

— ان المواقف المسرحية لا معنى لها ولا جدوى منها .

— ان النزعة الانفصالية تفسح للدول الاجنبية مجال التدخل في شؤوننا ، وتتيح للايديولوجية الماركسية انتهاز الفرصة للتسلل الى ديارنا ، مع العلم ان روسيا تطمع بهذه المنطقة منذ العهد القيصري .

— نحن لا نصدق ان الاتحاد السوفياتي والصين الشيوعية يساعداننا لوجه الله ، وانهما يغاران على مصلحتنا .

— مهاجمة البلدان الاسلامية التي تعارض الشيوعية تشكل هجوما على الاسلام نفسه .

— نحن نؤمن قبل كل شيء وفوق كل شيء بأننا عرب ، وان لا معنى للقومية العربية خارج اطارها الديني ، اي خارج الاسلام .

— نحن نؤمن بالوحدة العربية ، هدف الاجيال الطالعة في دنيا العرب كلها .

— اننا نصر أكثر من سوانا على ضرورة قيام تعاون عربي كامل لان حدودنا مع اسرائيل تجعل جبهتنا اطول الجبهات .

— قوة عدونا المشترك تقوم على العلم وعلى كونه يعرف بالضبط ماذا يريد . اما ضعفنا نحن فمرده الى جهلنا وليس الى الاستعمار .

— مهمتنا ذات شقين : تقوية جيشنا وتطوير البلاد .

— نحن بحاجة للقيام بخطوات ثورية في حقول شتى ، ولا سيما حقل المعرفة والوعي ... وهذا يمكن ان يتحقق بالتربية والتعليم . انكم (مخاطبا طلاب المدرسة) مربو الغد ، ومستقبلنا بين ايديكم . » .

الفصل الثاني

الهجوم الاسرائيلي

تشرين الثاني ١٩٦٦

« سيعيش الشرق الاوسط اياما حالكة »

بدا واضحا فور ارفضاض مؤتمر القمة الثالث في أيلول ١٩٦٥ ان الوحدة العربية أضحت ملغومة من اساسها ، وان القيادة العربية الموحدة لم يعد لها وجود فعلي . وقد تسببت مناورات منظمة التحرير الفلسطينية واعمال الفدائيين في الاساءة الى سلم كان قد بدأ ينهار في حين كان العالم العربي شديد الحرص على استمراره على أمل الوصول الى حل ايجابي للقضية الفلسطينية .

في ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٦ وبحجة « الرد على نشاط الارهابيين التابعين لمنظمة التحرير الفلسطينية » هاجم الاسرائيليون بلدة « السموع » الاردنية التي يبلغ عدد سكانها اربعة آلاف جميعهم من اللاجئين ، وقد اتهمتهم سلطات تل أبيب بأيواء ارهابيين دخلوها قادمين من سوريا .

بدأ الهجوم الساعة الخامسة والنصف صباحا بقصف من المدفعية غطى دخول أربعة آلاف جندي اسرائيلي كانت تنقلهم سيارات الجيب والسيارات المصفحة وخمسة دبابات من طراز « باتون » . اقتحمت هذه القوات البلدة الاردنية التي تحميها الشرطة المحلية ، وبينما كانت أجهزة التخريب تنسف بالديناميت ٤٦ منزلا ومستشفى « السموع » كانت الدبابات تطلق نيرانها الكثيفة على دائرة الشرطة ، وقد أصيبت مأذنة المسجد ببضع طلقات .

وفي الساعة السادسة والربع تحركت عشرون شاحنة وبضع سيارات أردنية مصفحة من الخليل لنجدة « السموع » وكانت عناصر الاستطلاع الاسرائيلية تراقب الطرق من مشارف البلدة فأخطرت قيادة

القوات المعتدية بظهور النجدة ، ووقعت قواتنا في الكمين الذي تمكن العدو من نصبه لها . وهنا تدخلت طائراتنا ولكن ما أن ظهرت اربع طائرات هوكر هونتر فوق أرض المعركة حتى وجدت بانتظارها طائرات الميراج الاسرائيلية ، فاشتبكت معها في ظروف غير موآتية وتمكن العدو من اسقاط احدى طائراتنا .

وفي منتصف الساعة العاشرة جلا الاسرائيليون عن « السموع » واجتازوا الحدود . وقد استمرت « العملية التأديبية » أربع ساعات كاملة وكلفتنا ٢١ قتيلا و ٣٧ جريحا وخسائر جسيمة في العتاد .

رفعنا شكوى الى الامم المتحدة ، فأدان مجلس الامن اسرائيل بأكثرية ١٤ صوتا وامتناع دولة واحدة هي نيوزيلندا . وانضم الاميركيون الى الروس والبريطانيين والفرنسيين في استنكار الهجوم على « السموع » ووصف المندوب الاميركي غولدبرغ العدوان الاسرائيلي بأنه « هجوم لا يمكن تبريره » .

وبعد حادث « السموع » انبرى بعض حلفائنا العرب لمهاجمتي بدل أن يصبوا جام غضبهم على اسرائيل . وبالطبع لم أكن أتوقع ردة فعل كهذه من جانبهم ، واعترف بأن بادرتهم لم تذهلني وحسب ، بل عقلت لساني .

وقفوا مني هذا الموقف لاني رفضت ــ تنفيذا مني لتعليمات القيادة العربية الموحدة ــ انطلاق هجمات رجال الشقيري على اسرائيل من الاراضي الاردنية وحدها دون سواها ، مع انه يمكنهم ان ينطلقوا من حدود مصر وسوريا ولبنان .

بعد انقضاء عشرة أيام على حادث « السموع » عقد وصفي التل رئيس حكومتي مؤتمرا صحافيا وضع فيه الامور في نصابها ورد على الاتهامات التي وجهت الينا . وشدد على الامور الاتية :

١ ــ ينبغي للقيادة العربية الموحدة ان تستخرج امثولة من العدوان على السموع ، لان هذه العملية الواسعة قد قام بها العدو على طول خط الهدنة . وخط الهدنة يشكل كلا بموجب الاتفاقات التي عقدت في القاهرة لدى التوقيع على ميثاق الدفاع العربي المشترك ، مما يعني ان اعتداء اسرائيليا يقع على هذا الخط تعتبره الدول الموقعة اعتداء عليها جميعا .

٢ ــ عند وقوع الاعتداء على « السموع » وجد الاردن نفسه بحاجة الى دعم جوي ، وهذا الدعم يجب ان تؤمنه الجمهورية العربية المتحدة بموجب الخطة الدفاعية التي وضعتها القيادة العربية الموحدة مسندة الى سلاح الجو المصري مهمة تأمين الغطاء الجوي للمنطقة الواقعة جنوبي القدس .

٣ ــ اننا نرفض كل تسلل فردي للفدائيين بدون علمنا تقيدا منا بمقررات مؤتمرات القمة الثلاثة التي تخضع لموافقة القيادة العربية الموحدة كل عملية يقوم بها الفدائيون ضد اسرائيل وذلك قبل تنفيذ هذه العملية بالطبع ، لانه يعود الى هذه القيادة وحدها تقرير مدى انسجام العملية المنوي القيام بها مع الخطة العربية المشتركة . والتعليمات التي تعمل القيادة الموحدة بموجبها تقضي بتجنب كل خطوة يمكن ان تشغلها اسرائيل لشن حرب لسنا نحن العرب مستعدين لمواجهتها .

بعد حادث « السموع » الذي رددنا عليه وحدنا وبعنف ، ارتفعت حمى التوتر لا بيننا وبين اسرائيل وحسب ، بل بيننا وبين حلفائنا العرب ، باستثناء المملكة السعودية . واصبحت انا مذ ذاك هدفا لسهام السوريين والمصريين ومنظمة التحرير الفلسطينية على الاخص ، فقرأت في الصحف العالمية وسمعت من « صوت العرب » واذاعتي دمشق والقاهرة انه « ينبغي للعرب قبل احتلال تل ابيب والاراضي الفلسطينية كلها ان يحرروا عمان نفسها » . وفي القاهرة ذهبوا الى حد القول : « اذا كان الجيش عاجزا عن حماية حدود كالحدود الاردنية فينبغي تسليح سكان القرى الواقعة على الحدود وتدريبهم » . مع ان ما بدر منا في « السموع » حمل الدليل على اننا لم ندع اسرائيل تسرح وتمرح على هواها ، وبالرغم من اننا واجهنا العدوان وحدنا . اما سكان الحدود فقد سلحناهم ودربناهم ولكن انى لهم ان يواجهوا هجوما مركزا تشنه قوات كبيرة ؟

وقد جر حادث السموع الى حوادث واحداث اشد خطورة وخطرا ، وبدا لي واضحا ان الشرق الاوسط يوشك ان يعيش اياما كالحة .

في القاهرة التأم مجلس الجامعة العربية بصورة استثنائية لمناقشة ما بات يعرف بـ « قضية السموع » . هذا من حيث المبدأ ، ولكن هذه التغطية لم تخدع احدا ، فقد كانت الغاية من انعقاد المجلس اعلان

الحرب ــ حرب الذين يطلقون على انفسهم اسم الثوريين العرب ــ على المملكتين السعودية والهاشمية اللتين اطلق عليهما « الثوريون » اسم « الرجعيين » ... اما انا فقد فضلت دائما تسمية اتباع مدرستي « المتطورين » .

بين الذين حضروا اجتماعات مجلس الجامعة كان احمد الشقيري ــ الذي دعي الى الحضور كمستمع ومراقب ــ وكان أشد المتحاملين علي عنفا واكثرهم تطرفا . لقد قال بوجوب تحويل المملكة الاردنية الى جمهورية فلسطينية وان اول ما ينبغي عمله « انشاء جيش فلسطيني في الاردن تابع لمنظمة التحرير » . وبالطبع يكون الشقيري نفسه قائده العام . اما مهمة هذا الجيش فهي حماية الحدود الاردنية من اي عدوان اسرائيلي جديد . اي ان صاحبنا اراد ان يناط الدفاع عن الاردن بهذا الجيش المنشأ بين يوم وليلة ... وهو تفكير لا شك في بدائيته .

اما موقف القاهرة العدائي فقد كانت له تفاعلاته في الاردن حيث تظاهر ضد نظام الحكم عناصر بعثية وشيوعية وقومية عربية يسارية (كان علي للمرة الثانية عشرة منذ ارتقائي العرش عام ١٩٥٢ ان أواجه محاولات تحرك من الخارج ضد العرش الاردني ونظام الحكم في البلاد) . وسرعان ما اتسع نطاق التظاهرات بحيث اتخذت شكلا ثوريا ، خصوصا في الضفة الغربية اي في الخليل ونابلس ورام الله وجنين حيث تمكن بعض المحرضين على اثارة اللاجئين الفلسطينيين . فاضطرت حكومتي حيال هذه التطورات الى اعلان حالة الطوارىء ، واستعانت بالجيش لتهدئة الحالة ، وهو المطلوب منه ان يظل متأهبا لمواجهة الاعتداءات الاسرائيلية . وبالرغم من تدخل الجيش ازدادت الحالة خطورة « بفضل » الحملات الكلامية التي كانت تشنها منظمة التحرير الفلسطينية على نظام الحكم الهاشمي عبر اذاعة « صوت العرب » القاهرية .

ففي ٢٥ تشرين الثاني ١٩٦٦ ، وكان يوم جمعه ، اذاعت منظمة التحرير من « صوت العرب » بلاغا تدعو فيه الاعضاء الفلسطينيين في الحكومة الاردنية الى تقديم أستقالتهم ظهر اليوم التالي . واذاعت بلاغا آخر تناشد فيه قوى الامن الاردنية الا تتعرض للمتظاهرين ضد نظام الحكم وتدعوها للانضمام الى المتظاهرين وتأييد مطاليبهم .

ووجه احمد الشقيري نداء الى البلدان العربية يدعو فيه المؤمنين

لاقامة صلاة الغائب عن ارواح « الشهداء في صفوف الجيش والشعب الاردنيين » .

وفي اليوم نفسه ، اي يوم الجمعة الموافق ٢٥ تشرين الثاني ١٩٦٦ ، حصلت اصطدامات عنيفة في القدس بين المتظاهرين الذين تأثروا بتحريضات منظمة التحرير وبين قوى الامن الاردنية ، الامر الذي اضطر حكومتي التي لم يستقل احد من اعضائها عملا بتوجيهات منظمة التحرير ، الى اعلان الاحكام العرفية في القدس .

غير ان اعادة الامن الى نصابه شيء واستمرار التضامن بين المؤسسات في بلد ما شيء اخر . ولكي اثبت لاخصامي بالوقائع انهم اضلوا السبيل ، لم اعدل الوزارة ولا اقدمت على حل المجلس ، مع العلم ان نسبة الفلسطينيين في كليهما لا تقل عن ٥٠ بالمئة .

وعلى الرغم من « اوامر » الشقيري لم تسجل الدوائر المختصة اية استقالة ولا اي تراخ في صفوف قوى الامن . وعندما افتتحت دورة المجلس ، لم اواجه باية ظاهرة عدائية ، بل استقبلني النواب بالتصفيق والهتاف .

ومع هذا لا بد من الاعتراف بان عملية اعادة الامن الى نصابه قد استغرقت عشرة ايام ، وان اهم ما اسفرت عنه احداث تشرين الثاني ١٩٦٦ كان افلاس الوحدة العربية ، وهو افلاس احسسنا به في الداخل والخارج .

في الداخل اصبحت القضية الفلسطينية مستعصية الحل بعد حادث السموع وانفجار الخلافات العربية مجددا. وفي الخارج اخذ الرأي العام يبتعد عنا في وقت كنا باشد الحاجة الى تفهمه عدالة قضيتنا . »

الفصل الثالث

التّدهوُر

« في ٢٢ ايار اعلن عبد الناصر اغلاق مضائق تيران ... »

« بعد « قضية السموع » ، وطوال ٥ أشهر ، كان الوضع يتدهور تدريجيا بين العرب والاسرائيليين الى ان كان يوم ٧ نيسان ١٩٦٧ فنشبت معركة فوق الاراضي السورية ، اشتركت فيها طائرات الميراج الاسرائيلية وطائرات الميغ السورية .

وفي اعقاب هذه المعركة حشدت اسرائيل قوات كثيفة على الحدود السورية .

وسرعان ما اخذت الاحداث تتلاحق لتؤدي الى الحرب .

وكان رد الفعل العربي المباشر ان اصدر المشير عبد الحكيم عامر نائب الرئيس المصري والقائد الاعلى للقوات المسلحة ، امره اليومي الاول وفقا لميثاق الدفاع المعقود بين مصر وسوريا ، وهذا نصه :

« ترفع حالة الطوارىء في الاراضي المصرية الى أعلى الدرجات اعتبارا من الساعة الرابعة عشرة والنصف من يوم ١٥ ايار ١٩٦٧ » .

وفي هذا اليوم بالذات ، ١٥ ايار ١٩٦٧ ، احتفلت اسرائيل بالذكرى التاسعة عشر لقيامها باقامة عرض عسكري في القدس تغيب عن حضوره الديبلوماسيون الاجانب بسبب الوضع الشائك للمدينة المقدسة.

في مصر اعلن عبد الناصر انه اصدر اوامره بارسال القوات الى سيناء لتخفيف الضغط الاسرائيلي عن السوريين . ثم نشرت الصحف واذاعت محطة القاهرة ان الفريق محمود فوزي رئيس اركان القوات المصرية المسلحة سلم مذكرة الى الجنرال الهندي اندراجات ريكيه قائد القوات الدولة في المنطقة المجردة من السلاح في سيناء . وتطلب المذكرة سحب القوات الدولية من خط الهدنة حيث ترابط منذ ٢٦ شباط ١٩٥٧ .

وبدت تحركات القوات المصرية لاحتلال سيناء وكأنها مناورة لحمل

اسرائيل على العدول عن مخططها . فهل كان لهذه المناورة الاثر المطلوب ؟

مهما يكن من أمر ، فان يوم ١٧ أيار قد مر دون وقوع حادث . وكانت المعلومات العربية ، وحتى السوفياتية ، تقول ان اسرائيل اختارت يوم ١٧ ايار لتشن هجومها على سوريا .

في ١٨ أيار ١٩٦٧ ، وافق الامين العام للامم المتحدة يوثانت على جلاء القوات الدولية عن المنطقة المجردة من السلاح في غزة ، من دون استشارة مجلس الامن .

بعد هذه البادرة الخطيرة والمذهلة من جانب الامين العام للامم المتحدة بت موقنا بحتمية الصدام العسكري مع اسرائيل فعقدت فورا اجتماعا استثنائيا دام ٤ ساعات مع رئيس حكومتي الجديد السيد سعد جمعة واعضاء الحكومة وكبار الضباط في هيئة اركان القوات المسلحة الاردنية ، وفي الوقت نفسه وضعنا قواتنا في حالة تأهب .

في الرابعة من بعد ظهر ١٩ ايار ١٩٦٧ ، بدأت عمليات انسحاب القوات الدولية . وبعد ساعات احتلت كتيبتان من جيش التحرير الفلسطيني في غزة ٧٣ مركز مراقبة كانت قد جلت عنها القوات الدولية .

من الجانب الاسرائيلي كانت الاستعدادات لعدوان جديد قائمة على قدم وساق . وفي ٢٠ ايار احتلت القوات المصرية مواقعها في شرم الشيخ .

ووسط هذا الجو المحموم لم يجد السوريون انسب من ان يرسلوا الينا في ٢١ ايار ، سيارة لتنفجر في « الرمتا » على الحدود . وكان من المفروض ان تنفجر في قلب عمان . واسفر هذا الحادث عن مصرع ١٤ اردنيا .

وردا على هذا الشعور الاخوي قطعنا علاقاتنا الديبلوماسية مع دمشق .

وقد ادى الحادث الى اشاعة القلق في الاردن . ففي هذه الظروف الدقيقة ، لم نعد نعرف ممن نحذر : من عدونا اسرائيل أم من حلفائنا العرب ؟

في ٢٢ ايار ، وهو اليوم التالي للحادث انتقل عبد الناصر الى سيناء في جولة تفتيشية . وهناك اعلن اغلاق مضائق تيران ، ابتداء

من منتصف ليل ٢٣ ايار ١٩٦٧ .

وبعد اغلاق خليج العقبة ، كان يبدو ان عبد الناصر يتوقع ردود فعل اسرائيلية . لذلك دعم مواقعه في سيناء ودعا رجال الاحتياط الى حمل السلاح ، ومع هذا استبعدت ان يكون الرئيس المصري راغبا في الوصول الى الحرب ، بل قام في ذهني انه لا يتوقع نشوب نزاع ، في حين كنت انا موقنا بحتمية هذا النزاع .

أما الاتحاد السوفياتي الذي توقع تعقيدات وشيكة فقد حذر اسرائيل من مغبة التهور . وفي باريس وجه الجنرال ديغول الى وزير الخارجية الاسرائيلية ابا ايبان النصيحة التالية « لا تكونوا البادئين باطلاق النار » . وكرر هذه العبارة غير مرة . ومن باريس توجه ايبان الى واشنطن لمقابلة الرئيس جونسون .

مهما يكن من أمر فقد كنت مقتنعا انه لم يعد بالامكان ، لا التراجع وحسب بل وقف النار الآخذة بالاندلاع . وقد بدأت اسرائيل تشن حربها النفسية لكسب عطف الرأي العام العالمي ، وتتابع في الوقت نفسه شحذ سلاحها .

لقد كان الخطر يهدد العالم العربي ، ويهدد الاردن بصورة خاصة لسببين اساسيين :

ان السبب الاول الذي دفعني الى اتخاذ تدابير احتياطية كان وليد تأملات هادئة . فقد كان يبدو حتى أواخر أيار ١٩٦٧ ان اسرائيل لا تهدد مباشرة سوى سوريا ومصر . ألم يكن بأمكان الاردن أن يبقى خارج النزاع ، كما قيل لي غير مرة بعد حرب حزيران ؟

لا ، في حزيران كنا مرتبطين جميعا بميثاق دفاعي عربي تم التوقيع عليه في القاهرة في مؤتمر القمة العربي الاول . ولم ينقض أحد هذا الميثاق أو يتنكر لاحكامه حتى بعد الخلافات التي قامت في مؤتمر القمة العربي الاخير في الدار البيضاء .

وعلى أي حال ، حتى لو لم يكن هذا الميثاق قائما ، فالقضية تصبح قضيتنا جميعا اذا نشبت الحرب . هذا ما علمتنا اياه التجارب .

ففي عام ١٩٥٦ ، اعتدى الاسرائيليون على مصر بحجة ان الارهابيين يهاجمونهم عن طريق الاردن .

عام ١٩٦٦ شكا الاسرائيليون هذه المرة من ان الارهابيين يعملون

انطلاقا من سوريا ، وقد دفعنا نحن الاردنيين الثمن تلـك « الحملة التأديبية » المعروفة التي شنتها اسرائيل على السموع .

ومعنى هذا ان الخلافات القائمة بين العرب تصلح للاستهلاك داخل المعسكر العربي فقط . وبالنسبة الى الاسرائيليين ، ليس هناك اي فرق بيننا ، فكلنا في نظرها عرب .

السبب الثاني الذي جعلني اتخذ التدابير الاحتياطية هو سبب ذو طابع معنوي . فقد كانت في الاردن اضطرابات في تشرين الثاني ١٩٦٦ بعد حادث السموع . وهـذه الاضطرابـات اثارهـا حلفائي ضدي ، وانا ، لا أريد أن أتصرف تجاه حلفائي كما تصرفوا هم تجاهي .

لهذا لم يكن واردا قط أن انفصل عن العالم العربي واقف معزولا عـن النزاع الذي يهدد معسكرنا . خاصة انني اعتبر دائما الوحدة ضرورة حيوية لتأمين السلامة المشتركة للعرب ولتأمين بقائهم . لذلك اصر على القيام بكل المحاولات لتوثيق الروابط التي يجب ان تجمعنا ، ضاربا عرض الحائط بالعداء المستمر الذي يظهره بعض حلفائنا تجاه الاردن .

ومن اجل ذلك اقترحت في بيان رسمي فتح حدودنـا للقوات السعودية والعراقية ، كي تساندنا في الدفاع عن الحدود التي تفصلنا عن اسرائيل ويبلغ طولها ٦٥٠ كيلومترا ، واضعـاف عزيمة هجوم صهيوني حتمي ، او على الاقل تخفيف اضراره . انا مدرك لهدف تل ابيب الرئيسي : احتلال الضفة الغربية من نهر الاردن حيث يشكل وجودنا خطرا دائما على اسرائيل ما دامت القضية الفلسطينية لم تحل .

ولانه لميكن بأمكان اية دولـة عربية أن تجابه وحدها التهـديد الاسرائيلي ، تبين أنه من الضروري تنسيق امكانات الجميع قبل بدء المعركة . لهذا قررت الاتصال بعبد الناصر .

واقترحت عليه ، بواسطة السفارة المصرية في عمان ، اجراء مناقشة بناءة لتقرير كل ما هو ضروري لمواجهة التهديد الذي يشكل خطرا كبيرا على مصالح العالم العربي . وقمت بهذه الخطوة ، من دون الالتفات الى كون علاقاتنا كانت منذ سنة قد ساءت كثيرا .

اني مؤمن ، اكثر مـن أي وقت مضى ، بأنه علينـا أن نحجب خلافاتنا الشخصية لئلا تؤثر ، بأي حال من الاحوال ، على المصالح القومية ذات الاهمية الحيوية . » .

الفصل الرابع

لقاء مع عبد الناصر

٣٠ أيار ١٩٦٧

في ٣٠ ايار ١٩٦٧ قابل الملك حسين بناء على طلب منه ، الرئيس عبد الناصر في القاهرة . السيد زيد الرفاعي رئيس التشريفات فـي القصر الملكي في عمان والامين الخاص للملك ، عاش الى جانب الملك ، احـداث حزيـران ١٩٦٧ وما سبقها . هـذه هـي روايتـه عـن « الصلح » المفاجىء بين الملك وعبد الناصر ، وهو الصلح الذي لم يجد له المراقبون الاجانب آنذاك اي تفسير :

« عندما أغلق عبد الناصر مضائق تيران ، ادرك الملك ان الحرب أصبحت حتمية . ولم يجر استشارة الاردن ، عند اغلاق المضائق ، تماما كما لم يجر استشارته عند سحب القوات الدولية من سيناء . فقد علمنا بهذين النبأين الضخمين من اذاعة القاهرة ، مثلنا مثل جميع الدول العربية وحلفاء مصر السوفيات . وقد اشتكت موسكو من ذلك بمرارة .

وجرت الامور على الشكل الاتي :

صباح الاثنين ٢٢ أيار ١٩٦٧ ، كنت كالعادة في مكتبي في القصر ، عندما تلقيت مكالمة هاتفية من اذاعة عمان تقول لي ان اذاعة القاهرة أعلنت اغلاق خليج العقبة .

في الاولى من بعد الظهر ، وصل الملك الى مكتبه واستدعاني . كان قد اطلع على النبأ وبدا شديد الاهتمام . قال لي :

— الامر جدي للغاية . اعتقد ان الحرب أصبحت أمرا لا مفر منه .

ومهما يكن ، اكتفينا بأخذ العلم بهذا الحادث ، لا اكثر .

ويجب القول هنا ان الاردن كان منذ سنة منبوذا داخل العالم العربي ويتعرض باستمرار لحملات واتهامات لاذعة من المصريين . لذلك ، رفضنا الاتصال بالقاهرة للحصول على ايضاحات . والى ذلك ، تعبنا من القيام دائما بالخطوة الاولى . والواقع ان الملك ، منذ انسحاب

القوات الدولية من غزه ، حاول مرات عدة القيام بخطوات تجاه القاهرة ، بعدما توجس خيفة من احتمال تدهور الاوضاع . كنا نريد ان نعمل من جديد على تسيير عجلة الوحدة العربية ، التي جاء الخطر يزيد من الحاجة اليها اكثر من أي وقت مضى . لكن جميع هذه الخطوات لم تثمر ، وضاعت في صمت القاهرة .

لم يحدث شيء في الايام القليلة التالية . عادت الحياة الى مجراها الطبيعي بعدما انتهت فترة الذهول الاولى . وبدا ان التوتر آخذ في الهدوء . كنا نكتفي بان نتتبع المناوشات الديبلوماسية التي انفجرت حول « قضية الخليج » .

في هذه الاثناء ، وبعد مرور ٤٨ ساعة على اغلاق خليج العقبة ، طلبنا بالطرق الديبلوماسية من السعودية والعراق ان يرسلا الينا امدادات . وكان هذا الطلب اجراء احتياطيا عاديا يدخل في معاهدة الدفاع المشترك بين الدول العربية التي تم التوقيع عليها في القاهرة سنة ١٩٦٤ . وقد اقدمنا على صياغة طلبنا نتيجة الوضع المتأزم . لكن هذه الامدادات لم تأت . أو على الاصح ، جاءت القوات السعودية حين انتهى كل شيء . أما العراق ، فقد قال في البداية : لا !

يوم ٢٨ ايار ١٩٦٧ قطعت خطوة اخرى في تصعيد النزاع : فقد عقد الرئيس عبد الناصر مؤتمرا صحافيا نقلته الاذاعة والتلفزيون في القاهرة أمام ٣٠٠ صحافي ، واعلن خلاله « اذا اراد الاسرائيليون الحرب ، اقول لهم أهلا وسهلا . تفضلوا . نحن مستعدون للحرب . » وهذا يعني بكلمات : ايها الاسرائيليون ، ابدأوا أنتم بأطلاق النار .

تابعت هذا المؤتمر الصحافي من خلال الترانزستور ، في مكتبي . وادركت تماما حينذاك ان مخاوف جلالته لها ما يبررها . فالحرب ستندلع دون ادنى ريب .

واستمع الملك هو ايضا الى الرئيس المصري ، فقرر فورا ارسال الفريق عامر خماش رئيس هيئة اركان الجيش الاردني ، الى القاهرة . وكانت مهمة خماش الاتصال بالقيادة العربية الموحدة والاطلاع مع المسؤولين على الخطط المعدة لمواجهة هجوم اسرائيلي محتمل . وكانت القيادة العربية الموحدة تعقد اجتماعاتها في القاهرة منذ مؤتمر القمة الاول .

حين عاد خماش من القاهرة أبلغ الملك ان القيادة الموحدة اصبحت مشلولة نتيجة الخلافات العربية ، وان المسؤولين في القاهرة أكدوا له ان ليس للقيادة المشتركة اي دور في الاستعدادات الجارية ، بل ان مصر هي التي تقود هذه العملية وفق اتفاق الدفاع المشترك الثنائي بينها وبين سوريا .

وفي اليوم نفسه (٢٩ ايار) منح مجلس الامة المصري الرئيس عبد الناصر الصلاحيات المطلقة ، واعلنت حالة الطوارىء في جميع مطارات مصر .

أمام خطورة الوضع هذه قرر الملك أن يقوم بمحاولة أخيرة لاعادة الحوار مع مصر . فاستدعى فورا سفير مصر في عمان السيد عثمان نوري وأطلعه على رغبته في مقابلة عبد الناصر في القاهرة ، بأسرع وقت ممكن . وأصر الملك على اهمية مثل هذا اللقاء الذي سيكون هدفه تنسيق وسائلنا الدفاعية أمام التهديد الاسرائيلي .

قد تبدو هذه الرغبة في مقابلة عبد الناصر غريبة عندما نفكر بالشتائم والاهانات التي تصبها اذاعة القاهرة منذ سنة على العرش الهاشمي . لكن ، رغم كل شيء ، لم يكن يحق لنا ، ولم يكن بأمكاننا أن نبرر بقاءنا في عزلة عن قضية سيلتزم بها العالم العربي بأسره .

وصلنا رد القاهرة متاخرا في ليل ٢٩ — ٣٠ ايار . وابلغ رئيس الحكومة الاردنية السيد سعد جمعة الملك بالهاتف أن عبد الناصر يرحب بمبادرة الحسين .

الثلاثاء ٣٠ أيار ١٩٦٧ ، والشمس طالعة بالكاد ، طلب الملك تحضير طائرة كارافيل تابعة لشركة « عاليه » . في السابعة صباحا ركب الطائرة في مطار عمان ، وكان على متنها طاقمها كاملا . وتسلم الملك قيادتها . فالملك من الحيوية بحيث لا يقبل ان يقوده أحد ، سواء في الطائرة أم في السيارة . فضلا عن أنه يقول : « ان قيادة الطائرة تريحني وتمنحني الكثير من الفرح » .

وكان الملك يلبس ثياب الميدان ، الخضراء الرمادية ، ويعتمر قبعة عسكرية عليها شعارات العرش ورتبة مشير . كما كان مسلحا بمسدس أوتوماتيكي أميركي من طراز « ٣٥٧ ماغنوم » . وهذه الثياب هي التي أخذ يرتديها الملك ، ونحن جميعا ، منذ بدء الازمة . ولم يرافقه أي حارس

أو شرطي .

قبل أن يقلع من المطار قال لنا الملك :

ـــ سأعود على الارجح لتناول طعام الغداء .

وهذا يعني ، في الاردن ، عند الساعة الاولى والنصف .

غير أن المحادثات مع عبد الناصر استغرقت وقتا أطول مما كان متوقعا لها . فلم يعد الملك الى عمان في الساعة التي حددها ، بل تناول طعام الغداء مع عبد الناصر في قصر القبة .

جرت رحلة الملك الى مصر سرا كما كان متفقا . وهنا ، في قصر عمان ، كنا جميعا حول جهاز الراديو ننتظر نبأ ما من اذاعة القاهرة . وهذه عادة درجنا عليها منذ ١٥ يوما . فبما ان القاهرة تتصرف منفردة ، كانت الاذاعة وسيلتنا الوحيدة للاطلاع على تطورات الامور .

في الثالثة والنصف بعد الظهر ، قطعت اذاعة القاهرة برنامجها وأعلنت ان « الملك حسين والرئيس عبد الناصر سيوقعان على معاهدة دفاع مشترك . وستنقل مراسيم التوقيع عبر الاذاعة .

وتنفسنا جميعا الصعداء . » .

الفصل الخامس

معاهدة الدفاع الاردنية - المصريّة

« رحلتي الى القاهرة
فتحت الباب لكثير من اللغط ... »

« الثلثاء ٣٠ أيار ١٩٦٧ ، غادرت عمان الى القاهرة ، ورافقتني سلاح الجو الاردني حتى حدودنا . جرت استعدادات الرحيل بشكل سريع وعاجل الى درجة أن اجراءات انتقال السلطة في غيابي جرت على أرض المطار في الطريق بين سيارتي والطائرة . وخلال هذه المسافة ، التي لم تتجاوز الامتار القليلة ، وقعت الوثائق الرسمية وأقسم شقيقي ولي العهد اليمين المعهودة .

لم يرافقني في هذه الرحلة غير عدد قليل من الاشخاص : رئيس حكومتي سعد جمعة ، ورئيس هيئة أركان الجيش اللواء عامر خماش ، وقائد الطيران صالح كردي ، وكمساعد لي ضابط طيران برتبة نقيب .

اتجاهنا المتفق عليه كان مطار الماظه العسكري في القاهرة . قررنا ان تكون رحلتنا سرية . بقيت وراء مقود الكارافيل حتى نزلنا في القاهرة ، ثم أفسحت المجال للطيار .

كنت متوتر الاعصاب بسبب الاتجاه الذي أصبحت عليه الامور . وكانت نتيجة مهمتي تقلقني أيضا قلقا شديدا .

في قاعدة الماظه الجوية استقبلني عبد الناصر ، يحيط به نوابه الاربعة ورئيس حكومته السيد محمود صدقي سليمان . وكان الفريق علي علي عامر ، القائد الاعلى للقيادة العربية الموحدة ، ينتظرنا بدوره .

اكتفينا بالمصافحة . كان عبد الناصر يبتسم . بدا لي انه مرتاح للخطوة التي قمت بها ، رغم اني أحسسته على شيء من التحفظ .

غير أن لقاءنا ما لبث أن أصبح أكثر ودا . وكان بعض المصورين المصريين يستعدون للتصوير ، وهم يقفون على مسافة منا .

وسألني عبد الناصر :
ــ هل ترى أي مانع ؟ أم تفضل بقاء هذه الزيارة سرية ؟
ــ لا . سيعلمون بها على أي حال ، عاجلا أم آجلا .
وهنا قال لي عبد الناصر مازحا :
ــ أرى انك مسلح وفي ثياب الميدان .
قلت :
ــ لا أرى في ذلك اي شيء استثنائي . انها الثياب التي نرتديها منذ اكثر من اسبوع .
هذه هي الحقيقة ، لاني كنت امضي اوقاتي ، منذ اغلاق مضائق تيران ، في تفقد قواتنا على جميع مستوياتها . وبقي الامر هكذا حتى اندلاع الحرب في حزيران .
كان عبد الناصر يرتدي ثيابه المدنية الكاملة . عاد يقول لي بلهجة فيها بعض التهكم :
ــ ما دامت زيارتك سرية ، ماذا يحصل اذا قبضنا عليك ؟
اجبت وأنا ابتسم :
ــ لم يخطر ببالي هذا الاحتمال أبدا .
ووضعت حدا لهذا الحديث غير المناسب الذي أصبح مزيجا من المر والحلو .
في سيارة الكاديلاك السوداء التي اقلتنا من المطار الى قصر القبة ، شرحت لعبد الناصر الاسباب التي حملتني على المجيء وضرورة توحيد جهودنا كما يتطلب الوضع .
كنت أرغب بأي شكل أن أبعث من الرماد القيادة العربية الموحدة . » .

(فانس ولوير يستوضحان الملك عن رايه في القوات المصرية والسورية قبل سفره الى القاهرة)

ــ هل كنت تعتقد ، يوما ، أن بأمكان مصر وسوريا الانتصار على اسرائيل لو وحدتا قواهما .
ــ لا ، ليس وحدهما .
ــ حتى مع الطاقة العسكرية الضخمة التي تملكها مصر ؟

ــ كانت مصر متفوقة على اسرائيل تفوقا بسيطا في المعدات والاسلحة . لكن ، رغم ذلك ، كنت اشك بأمكان تغلب مصر وسوريا وحدهما على اسرائيل . السبب هو التخطيط الطويل المدى والتنظيم والمراقبة والتدريب عند القوات الاسرائيلية . كان يمكنني ان آمل ، في أفضل الحالات ، تفوقا ضئيلا لصالح مصر وسوريا . لكني لم أعتقد قط بانتصارهما التام . كما لم اكن لاتصور مطلقا ان تحول اسرائيل نتيجة المعركة لمصلحتها وبهذه السهولة .

« لكن ، لنعد الى زيارتي للقاهرة . عندما وصلنا الى قصر القبة ، دخلت مع عبد الناصر قاعة صغيرة في الطبقة الاولى حيث بدأنا حالا محادثاتنا الحقيقية . وغربلنا كل شيء : علاقاتنا المتبادلة ، الوضع الذي سنجابه ، ضرورة التنسيق الجدي والفعال ، والتدابير الواجب اتخاذها .
ثم دخل علينا المشير عبد الحكيم عامر ، وكان آنذاك نائب الرئيس المصري والقائد الاعلى للقوات المسلحة وخليفة عبد الناصر المرتقب ، وتبعه سعد جمعة والمسؤولون المصريون والاردنيون الاخرون . واقترحت اللجوء الى القيادة العربية الموحدة .
فأجابني عبد الناصر :
ــ ليس لدي أي اعتراض . لكن من الصعب جعل القيادة العربية الموحدة تعمل وذلك بسبب الاتفاق الذي وقعته مع سوريا ... ثم هناك جميع مشاكل العالم العربي التي لا تجهلونها . اني اقترح حلا اخر . يمكننا ، فورا ، ان نوقع معاهدة بين بلدينا . »
وبناء على طلبي ، أمر بأحضار ملف معاهدة الدفاع الثنائية المصرية ــ السورية التي ربطت بين البلدين منذ نيسان ١٩٦٧ . وللهفتي على التوصل الى اتفاق ، اكتفيت بقراءة سريعة للملف وقلت لعبد الناصر :
ــ اعطني نسخة اخرى . لنضع كلمة الاردن محل كلمة سوريا ، وينتهي الامر .
وفي جو أكثر انشراحا وودا ، وافق عبد الناصر ، ووقعت أنا بعد ذلك بقليل .

ثم شرحت له مشاكلي مع احمد الشقيري . وفي نهاية حديثنا ، استدعى عبد الناصر رئيس منظمة التحرير الذي جيء به من غزة لهذه المناسبة . ودخل الشقيري عاري الرأس ومن دون ربطة عنق ويرتدي بنطلونا كاكيا . وما ان دخل الصالون ، حتى هجم علي باسطا يده . جلسنا حول طاولة لنوقع معاهدة الدفاع ، الوفد المصري لجهة والوفد الاردني لجهة أخرى . عندئذ ، ومن غير أن يدعوه أحد ، جلس الشقيري مع الوفد الاردني . وعقب التوقيع أطلق للسانه العنان خطيبا ومؤكدا أنه يعتبرني زعيم الفلسطينيين وأنه يرجو أن ينفذ ، بالفعل ، كل ما تم التوقيع عليه ، و . . . لم اعد أذكر الاشياء الاخرى التي قالها . ثم أضاف :

— آمل ان أزور الاردن قريبا .

فقاطعه عبد الناصر :

— لن تذهب الى الاردن « قريبا » ، ستذهب « اليوم » ، مع جلالته .

ثم التفت الي وقال ضاحكا :

— يمكنك أن تأخذ الشقيري معك . اذا سبب لك أية متاعب بوسعك ان تزجه احد السجون وتريحني من هذه المشكلة .

وانفجر الجميع حولنا ضاحكين .

ويذكر ان الشقيري واذاعته لم يكفا عن رواية العديد من القصص حول السجون الاردنية حيث نلقي نحن ، على ما يبدو ، الاحرار والابرياء من الناس ، ونخضعهم لمعاملات لا يمكن وصفها . وبالطبع لا أساس من الصحة لكل هذه الروايات .

ودون أن ينزعج بالمرة ، اتصل الشقيري بمنزله وطلب ارسال حقيبته الى مطار الماظه بأسرع وقت .

لنعد الى الجانب الجدي من يوم ٣٠ أيار . فقد لحق بنا الى صالة المحاضرات اللواء عبد المنعم رياض مساعد رئيس هيئة أركان القيادة العربية الموحدة ، يرافقه عدد من الضباط . لقد كلفه عبد الناصر ادارة العمليات العسكرية انطلاقا من الاردن . لكن قبل أن يتوجه الى الاردن ، رئس رياض وفدا مصريا غادر القاهرة في اليوم نفسه الى بغداد ودمشق ، كي يشرح الوضع للمسؤولين العراقيين والسوريين وذلك

للاسراع باستعدادات الدفاع المشترك ضد أي هجوم اسرائيلي محتمل .

وقبل ذلك ، اتصلنا بالرئيس عبد الرحمن عارف في بغداد . وكلمه عبد الناصر في البداية ليعلن له التوقيع على معاهدة الدفاع الاردنية — المصرية . ثم تحدثت اليه بدوري ، فأكد لي عارف أنه مرتاح لتطور الاوضاع على هذا الشكل الجديد ، وانه مستعد لبذل كل جهده لمساعدتنا .

جرى الاحتفال الرسمي بالتوقيع على المعاهدة بعد تناول طعام الغداء . أريد أن أسرع الان في العودة الى عمان . وعلى الطريق المؤدية الى المطار ، اقترح علي عبد الناصر زيارة القيادة الجديدة للقوات المسلحة في مصر الجديدة . وتمت الزيارة بسرعة . كان الجو يزداد ودا وانفراجا ، والمشير عبد الحكيم عامر يكرر أمامي ، باسم القوات المسلحة المصرية : « اننا سعداء ان نراك من جديد في صورة العائلة . ان هذا يقوي ثقتنا . » .

« رحلتي الى القاهرة فتحت الباب لكثير من اللغط .

في الحقيقة ان التفوق الظاهر في القوى التي كان علينا ان نواجهها هو الذي أملى علي القيام برحلتي . ان جميع الاجتماعات التي عقدتها مع ضباطي كان سببها التأكد من ان بدء الاشتباكات قد صار وشيكا . كان مؤسفا أن نصل الى هنا . فضلا عن انه كان قد فات الاوان كي نستعد بالقدر الذي كنا نريده لانفسنا . صار علينا مذ ذاك ان نحاول الارتجال ردا على العمليات الاسرائيلية . فبعكس اسرائيل لم يكن العرب قد وضعوا أية خطة عمليات موحدة . أما نحن ، الاردنيين ، فقد حاولنا ان نضع ثقلنا في الميزان لتخفيف الضغط عن سوانا والتقليل من الاضرار التي ستحدث في حال نشوب حرب ، وذلك كله دون أي أمل بأن نربح هذه الحرب .

خلال لقاء القاهرة ، اصبحت مقتنعا بأن عبد الناصر لم يكن يريد ان يقع نزاع . لكن لم يكن لديه طريقة أخرى للرد على اسرائيل بعد تهديداتها الموجهة ضد سوريا التي ارتبطت مع مصر بمعاهدة دفاع ثنائية . »

(فانس ولويد يستوضحان الملك نيات الرئيس عبد الناصر) :

ـــ اذا لم يكن عبد الناصر يريد الحرب ، فلماذا طلب سحب القوات الدولية ؟ هل كانت ضربة « بلف » ، لاقتناعه بأن القوات الدولية لن تنسحب ؟

« ـــ انا متأكد ان عبد الناصر لم يكن يريد الحرب . اعتقد انه كان بالاحرى يريد ان يعيد الى مصر حقوقها الشرعية والطبيعية في سيناء ، حين طلب سحب القوات الدولية من المنطقة المجردة من السلاح في سيناء . انا مقتنع ، واكرر ذلك ، بأن عبد الناصر لم يكن يريد الحرب . وضع في مأزق حرج ، ولم يكن ليستطيع التصرف بشكل مختلف . وحتى عندما انسحبت القوات الدولية ، أنا متأكد من أن الرئيس عبد الناصر لم يعتقد فعلا بأن الحرب ستنفجر . يخيل الي انه كان يريد المناورة لتخفيف الضغط عن سوريا . بالطبع ، لم يكن ذلك افضل تكتيك ، حتى في مثل هذه الظروف . ربما كان من الافضل حشد القوات المسلحة في سيناء وراء القوات الدولية ، والقول : « نحن مستعدون اذا هاجمتم سوريا .

والواقع ان عبد الناصر كان فخورا بمعداته العسكرية ، واثقا من قوة جيشه ومقدرته ، الى درجة انه اعتقد ان بأمكانه التصدي وحده للمعتدي . والدليل ان عبد الناصر لم يطلب مساعدتنا مطلقا ، بل نحن الذين طلبنا مساعدته . »

ـــ بعد النزاع العربي ـــ الاسرائيلي في حزيران ١٩٦٧ جرت مناقشات عديدة في محاولة لتحديد الفريق الذي تقع عليه مسؤولية بدء الحرب . هل « العدوان » يرافقه ، بالضرورة ، استخدام الاسلحة ؟ هل يمكن اعتبار اغلاق مضائق تيران « عدوانا » ؟ ما هو العدوان ، في الحقيقة وكيف يمكن تحديده ؟

« ـــ لم تكن تيران في الواقع الا سلاحا بين اسلحة عديدة استخدمت في جو العداء هذا ، الذي اغرق الشرق الاوسط ، منذ قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ ، في الفاجعة التي نعاني منها كلنا . نعم ، لم تكن تيران غير زناد الاعتداء في سلسلة اعتداءات وتهديدات متبادلة تتابعت منذ ١٩٤٨ . لا يمنع ان تيران كانت غلطة . اعترف بذلك صراحة . كان يمكن التصرف

بشكل آخر ، من دون شك ، رغم ان العمل العربي لم يكن الا ردة فعل للتهديدات الاسرائيلية . شئنا أم ابينا ، هذا النوع من التصرف قد انقلب علينا واعطى اسرائيل ذريعة لتحقق اهدافها . كان لدى الاسرائيليين خطة عمل يحركونها ، وقد تصرفنا نحن في الاتجاه الذي يريدونه تماما . »

« لنعد الى زيارتي للقاهرة . قد يكون جو العداء مستمرا بين العرب والاسرائيليين بالحدة نفسها ، غير أن موقفنا نحن اصبح اقل تعرضا للخطر بعدما اعدنا الى الوجود ، مع عبد الناصر ، نظام التعاون والتنسيق على الصعيد العسكري . كنا نشعر بالارتياح ، على الاقل في ما يتعلق بي انا . لكن ، لو كان لدينا ، فقط ، وقت أطول !

غادرت القاهرة ، اذا ، بعد ظهر ٣٠ ايار . وتوليت بنفسي قيادة طائرة الكارافيل الى عمان . كنت قد تعبت ! وذلك اليوم كان طويلا جدا بالنسبة الي !

وكان الشقيري في الطائرة .

وسألني ضابط يعود معنا :

ـــ ماذا يفعل هذا الشخص هنا ؟

أشرت اليه ان يسكت . لا اريد ان اسمع اي شيء حول هذا الموضوع . لقد اخذت كفافي لهذا اليوم . » .

الفصل السادس

عودة الملك
ومعه الشقيري

علم الاردن بنبأ توقيع معاهدة الدفاع المشترك مع مصر بعد ظهر ٣٠ ايار ، عندما نقلت الاذاعة الاحتفال الرسمي الذي جرى لمناسبة التوقيع . والسبب ان اللقاء بين عبد الناصر والحسين تم بصورة سرية.

وتنفس الرأي العام الاردني الصعداء ، خصوصا ان المعاهدة جاءت بعد مرحلة القلق التي سببها وضع يتدهور بالتدريج ، وشعور بعزلة الاردن عن العالم العربي .

وتبدد فجأة جو الانزعاج الذي طبع علاقات الملك حسين ببعض الاردنيين من اصل فلسطيني (نتيجة العدوان على السموع) وتحول الى انفجار من الفرح الشعبي الذي لا يوصف .

وعندما نزل الملك من الطائرة ، استقبله الاف من المتظاهرين تجمعوا من جميع انحاء الاردن خلال ساعات قليلة ، ورفعوا سيارته مرات ليظهروا له فرحتهم .

ويشرح السيد زيد الرفاعي اسباب هذا التحول في الرأي العام الاردني فيقول :

« بعد التوقيع على المعاهدة المصرية ـ الاردنية اعلنت اذاعة القاهرة عودة الملك . وعلم الاردنيون حينذاك برحلة الملك غير المنتظرة الى مصر . لذلك تراكضوا بالآلاف ، من كل صوب ، ليستقبلوه استقبالا ضخما . فبالنسبة الى رجل الشارع ، استطاع الملك ان يتغلب على مصاعب الانقسامات العربية ، وفي الوقت نفسه ، ان ينظم دفاع الاردن ضد عدوان اسرائيلي يؤمن الجميع هنا بحتمية وقوعه .

وذهلنا حين شاهدنا احمد الشقيري يخرج من الطائرة ، وراء الملك . كان يبدو واثقا من نفسه وهو عاري الرأس ويرتدي ثياب الميدان

من طراز ماوتسي تونغ . تقدم نحونا من دون اي ازعاج ، كأن شيئا لم يكن . كأن الوصول الى الاردن كان ، بالنسبة اليه ، امرا طبيعيا جدا . تصرف معنا ، ونحن الذين نعرفه تماما ، كأن شيئا لم يحدث بيننا . يبدو ان السيد الشقيري نسي انه يعلن ، منذ سنة ، بانه يجب « اسقاط نظام عمان قبل نظام تل ابيب » وانه « يجب تحرير عمان لكي نحرر تل ابيب . » واشياء اخرى « افضل » بكثير .

لكن هذا كله لم يمنع السيد الشقيري من تقبيل البعض ومصافحة البعض الاخر . وفي النهاية ، رافقه سعد جمعة الى الفندق .

رغم كل مظاهر الصداقة هذه ، يجب ان لا ننسى ان لقاء الملك حسين والرئيس عبد الناصر لم يكن الا اجتماع عمل ، اعدّ لانقاذ المصالح العربية المشتركة .

انا اعرف ان الصحافة العالمية استهلكت الكثير من الورق لمحاولة تفسير ما يسمونه « مصالحة الشقيقين العدوين . » لكن ذلك كان هدرا للحبر من دون فائدة . حين تعانق الملك مع عبد الناصر ، بعد انتهاء الزيارة ، لم يكن ذلك الا تصرفا عربيا تقليديا يعني ان اتفاقا قد تم . بالمقابل ، لم يعانق الملك احمد الشقيري » .

قدمنا للملك حسين صورة تصدرت الصفحة الاولى من صحيفة فرنسية كبيرة ، وكتب تحتها « قبلة الشقيقين العدوين . » قلنا له ان كلام الصورة يشير ايضا الى ان الملك كان يبدو حريصا على ان يبقى مسدسه في متناول يده، بينما بدا ان عبد الناصر يحاول تشليحه المسدس.

وجد الملك هذا التفسير مضحكا جدا . وانفجر ضاحكا » .

الفصل السابع

قبل الحرب

« لم يكن لدينا في الاردن
سوى خطة دفاعية »

« في اول حزيران ١٩٦٧ وصل الى عمان الفريق عبد المنعم رياض الذي عهد اليه بقيادة القوات العربية على الجبهة الاردنية ووصلت معه هيئة أركان حربه . والفريق رياض كان معاونا للفريق الاول علي علي عامر رئيس القيادة العربية الموحدة . وهو جندي محترف ، مجرّب (عمره خمسون سنة) ويعد من ألمع القادة العسكريين العرب (بعد هزيمة حزيران عينه عبد الناصر رئيسا لاركان القوى المسلحة) .

كان على عبد المنعم رياض ان يتولى كذلك قيادة القوات العراقية والسعودية والسورية وكتيبتين من رجال القومندوس المصري المفترض ، بموجب اتفاقي مع عبد الناصر ، ان تحضر الى الاردن لتعزيز مواقعنا .

اعدنا مع القائد المصري درس الموقف بوجه عام وخرجنا براي يقول ان الاستراتيجية تقضي باستخدام نجدات تتولى تعزيز الدفاع الاردني ، بحيث لا يكون ثمة ثغرة واحدة في جبهته .

وظهر السبت ٣ حزيران عقدت مؤتمرا صحافيا في القصر الملكي بحضور مئة مراسل اجنبي وصحافي اردني . واثناء المؤتمر جاء من ابلغني أن عبد الناصر يرغب في التحدث الي هاتفيا من القاهرة . فتركت قاعة المؤتمر ودخلت مكتبي حيث حولت الي المخابرة . وبعد انتهائها عدت الى القاعة وخاطبت الصحافيين قائلا :

« ابلغني الرئيس عبد الناصر ان العراق وقع بدوره على ميثاق الدفاع المشترك مع مصر . وبذلك اصبحنا أربع دول عربية مرتبطة بهذا الميثاق . وستصل قريبا الى الاردن قوات عراقية لتحتل المواقع التي ستحدد لها على طول الحدود الاردنية — الاسرائيلية . »

وهنا سألني صحافي اميركي بالصراحة الفجة التي اشتهر بها مراسلو الصحف الانكلوسكسونية :

— هل تتوقعون نشوب حرب في الشرق الاوسط ؟

قلت له :

— نعم .

— متى تتوقعون نشوبها ؟

— نتوقع نشوبها خلال الثماني والاربعين ساعة المقبلة ، والا يكون الاسرائيليون قد صرفوا النظر عنها ، في الوقت الحاضر على الاقل ، على أمل ان يشنوا الحرب علينا في فرصة مؤاتية وظرف اكثر ملاءمة ، كأن يباغتنا هجومهم حالما يأنسون منا غفلة او اهمالا .

وكنت مقتنعا بما قلته للمراسل الاميركي ... وقد اثبتت الاحداث انني لم أكن واهما .

لقد حذرت عبد الناصر من احتمال قيام اسرائيل بهجوم مفاجىء ، وذلك خلال اجتماعنا في القاهرة بتاريخ ٣٠ ايار وقلت له ان الهجوم سيستهدف اول ما يستهدف سلاح الطيران العربي ، وان الضربة الاولى ستسدد بالطبع الى الطيران المصري .

فكان جواب عبد الناصر :

— هذا واضح ، ونحن نتوقع مثل هذا الهجوم .

وحاولت مرة أخرى تنبيه الجميع الى ما تبيته اسرائيل ، وذلك مساء الاحد ٤ حزيران ، فعهدت الى عامر خماش رئيس اركان القوى المسلحة الاردنية بمكاشفة الفريق عبد المنعم رياض بالهواجس التي تقض مضاجعنا ، اي اننا قرعنا ناقوس الخطر مرة اخرى لافهام الاخرين اننا نتوقع بين ساعة واخرى هجوما اسرائيليا واسع النطاق .

وفي الليلة ذاتها أصدرت أوامري الى سلاح الطيران الاردني ان يضع في حالة تأهب جميع طائراته وان يكون على اتم الاستعداد لتغطية المطارات الاردنية لدى بزوغ فجر الاثنين ٥ حزيران . وكنت قد امضيت ساعات بعد الظهر والهزيع الاول من الليل في مقر رئاسة الاركان مجتمعا الى الفريق رياض وكبار الضباط الاردنيين .

لم يكن لدينا نحن الاردنيين سوى خطة دفاعية. ولم يكن واردا في اذهاننا اعداد خطة هجومية او مجرد التفكير في خطة من هذا النوع ،

اعتمادا على الامكانات العسكرية المحدودة المتوافرة لدينا . »

(لقد زعمت دوائر الاستخبارات الاسرائيلية انها وضعت يدها على وثائق كانت في حوزة اركان حرب بعض الفرق الاردنية ، وان هذه الوثائق اشتملت على اوامر مؤرخة في ٣٠ أيار تتعلق بخطة رسمتها القيادة الاردنية استعدادا لمهاجمة القرى الاسرائيلية في منطقة اللطرون .)

بصدد هذا الزعم قال الملك حسين :

« يهمني ان أوضح هذه النقطة .

ان اسرائيل قد نظمت القرى الواقعة في منطقة اللطرون تنظيما ذا طابع مزدوج : مدني وعسكري . وعلى اثر الاعتداء على السموع رسمنا خطة نرد بها على العدو ان هو ارتكب اعتداءات مماثلة . ولو انه فعل لكنا قد رددنا له التحية بمثلها . لاننا اعطينا الافضلية في الرد لاهداف ذات طابع شبه عسكري وقررنا ان يأتي ردنا فوريا . وهذه الخطة التي لا علاقة لها بحرب حزيران هي التي زعمت الاستخبارات الاسرائيلية انها عثرت عليها ، وانها تشتمل على أوامر بالهجوم على قرى اللطرون . والواقع اننا ما فكرنا قط بشن هجوم على اسرائيل . وهل يعقل ان تجول هذه الفكرة في رؤوسنا وامكاناتنا المحدودة تقعدنا عن القيام بمغامرة من هذا العيار ؟

بعد هذا الايضاح ، اسارع الى القول اننا بدأنا نفكر باعداد خطة استراتيجية ما ، بعد وصول الفريق رياض الى عمان وبعدما وافتنا حكومة بغداد بمعلومات راهنة عن القوات العراقية التي ستنضم الى قواتنا .

وبانتظار وصول القوات العراقية والسعودية عقدنا ليل الاحد ٤ حزيران اجتماعا على مستوى القيادة العسكرية العليا حضره الفريق رياض وهيئة اركان حربه الاردنية . وفي هذا الاجتماع الاستثنائي عرضنا مختلف السبل التي بات بامكاننا سلوكها وناقشنا الاستراتيجية التي ينبغي لنا اعتمادها. وبعد اخذ ورد اخترنا الاستمرار في موقف الدفاع على جبهة محدودة جدا بانتظار وصول العراقيين والسعوديين وبعد وصولهم تأخذ جبهتنا بالامتداد تدريجيا ، ويصبح بامكاننا اعداد المرحلة الهجومية من العمليات . وعندما أقول مرحلة هجومية أشعر بأني استعملت تعبيرا ضخما . ذلك أن الخطة الهجومية التي أعددناها على عجل كانت تقضي

بالقيام بعمليات مشتركة بواسطة المدفعية والطيران لتعطيل المطارات الاسرائيلية .

ولو قيض للعراقيين ان يصلوا بسرعة لكان وضعنا قد تحسن تحسنا أمكننا معه أن نرى الامور على حقيقتها وان ننظر الى أبعد وفي الوقت المناسب .

ولكن العناصر الاولى من احدى الفرق العراقية شرعت في اجتياز الحدود الاردنية ليل الاحد ٤ حزيران ، ووصل معها فوج فلسطيني تابع لمنظمة التحرير ، مع ان الاتفاقات التي عقدناها مع عبد الناصر لم يرد فيها ما يشير الى اشراك جيش منظمة التحرير في الدفاع عن الاردن . لهذا ما ان شاهد الضابط رئيس مركز الحدود الفوج الفلسطيني يقترب حتى اتصل هاتفيا بالمقر العام في عمان ، وكنت أنا ساعتئذ في المقربة فلما احطت علما بوصول الفوج وبتردد ضابط الحدود أوعزت بابلاغ الضابط تعليماتي وهي : « دعهم يتابعون سيرهم وبأقصى سرعة ممكنة » .

وجدير بالذكر ان القوات العراقية والفلسطينية لم تحتل المواقع التي عينها لها الفريق عبد المنعم رياض ، فمنذ اللحظة الاولى لنشوب الحرب هاجمها الطيران الاسرائيلي وهي في طريقها الى مواقعها وتمكن من ابادتها .

لنتحدث الان عن النجدات المصرية . فبعد ظهر السبت ٣ حزيران حطت في مطار عمان احدى عشرة طائرة نقل عسكرية مقلة طلائع كتيبتي القومندوس المصري (الكتيبة الثالثة والثلاثون والكتيبة الثالثة والخمسون) ، وبعد ظهر الاحد كنت في استقبال سائر عناصر الكتيبتين.

ولكن التعزيزات المصرية وصلت متأخرة هي ايضا . فقد كانت مهمتها الانضمام الى القومندوس الاردني على الضفة الغربية ، غير انها لم تكن قد احتلت المواقع المحددة لها صباح الاثنين ٥ حزيران عندما نشبت الحرب المزعومة .

وقد فطن الفريق رياض يوم الاحد ٤ حزيران الى ان القوات الاردنية البرية (٥٦ الف رجل) لا تكفي للدفاع عن جبهة تمتد ٦٥٠ كيلومترا على محاذاة حدود اسرائيل ، مع العلم اننا لا نملك من الاسلحة المدرعة سوى ١٧٦ دبابة باتون م. ٤٨ . وقد فكر رياض بوسيلة يسد

بها النقص واخيرا قال لي : « يمكن سوريا ان تحمي جبهتها بثلث قواتها وانا أرى ان باستطاعة السوريين القيام بالمطلوب منهم بخمسة ألوية من أصل ١٥ لواء يملكونها . فأقترح عليك أن تطلب منهم امدادنا بالالوية العشرة الفائضة لنعزز بها جبهتنا . »

وافقت على اقتراح الفريق المصري ، بالرغم من اقتناعي بعقم المسعى ، لان السوريين رفضوا حتى ذلك اليوم التعاون معنا . وادرك رياض ما يجول في خاطري فقال لي : « اتأذن لي أن أطلب من المشير عبد الحكيم عامر (نائب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة) ان يدعم رسميا طلب الامدادات من حكومة دمشق ؟ لنفعل ذلك للتاريخ أو للذكرى ، اذا شئت . »

قلت : ليكن ، اذا لم يكن من ذلك بد .

وفي تلك الليلة ــ ليلة الاحد ٤ حزيران ــ استخدمنا خطوط المواصلات العسكرية في طلب الامدادات من السوريين ، ولكنهم لزموا الصمت . ومع هذا فنحن نظلم دمشق اذا قلنا انها لم تساعدنا قط . فيوم الاربعاء الواقع فيه ٧ حزيران ، وبعد انتهاء الحرب المزعومة حربا، بالنسبة الى الاردن على الاقل ، أرسلت سوريا لنجدتنا لواء واحدا . وقد وصل هذا اللواء الى مدينة صويلح الاردنية الواقعة على ٦٠ كيلومترا من الحدود السورية ، ولكنه لم يقترب من ميدان المعركة ، وسرعان ما عاد من حيث اتى لان الاسرائيليين شنوا هجوما مركزا على المرتفعات السورية .

وقبل أن آوي الى مخدعي ليل الاحد ــ الاثنين اجتمعت مطولا بالفريق رياض الذي اختار لاقامته وهيئة اركان حربه المصرية المقر العام لقيادة العمليات في عمان . وفي الساعة الاولى بعد منتصف الليل آويت الى فراشي ، لانه لم يبق امامي الا ترقب ما سوف يطرأ من تطورات . »

الفصل الثامن

الهجوم الاسرائيلي الكبير

« الاثنين ٥ حزيران الساعة التاسعة صباحا .
انها الحرب ... »

« ما ان طلع صباح الاثنين ٥ حزيران ١٩٦٧ حتى بدأ سلاحنا الجوي يقوم بالدور المسند اليه وهو حماية المجال الجوي الاردني . وكنت أنا في الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين قد انتهيت من ارتداء ثيابي ، وقد اكتشفت وانا اتطلع في المرآة اني ما فتئت ارتدي بزة القتال منذ عشرة أيام .

وبينما كنت أتحدث الى زوجتي بانتظار الانتهاء من اعداد طعام الصباح ، رن جرس الهاتف ، وكان المتكلم مرافقي الاول :

ــ مولاي ، بدأ الهجوم الاسرائيلي على مصر . وقد اذاعت النبأ محطة القاهرة .

وهكذا علمت ببدء النزاع المسلح . وعلى الاثر اتصلت بالمقر العام الذي أكد لي النبأ (وكانت الساعة تدق التاسعة صباحا) وابلغني ان تعليمات بالشيفره وصلت منذ لحظات من المشير عبد الحكيم عامر الى الفريق عبد المنعم رياض ، وان هذه التعليمات تلخص بالاتي :

١ ــ ان طائرات اسرائيلية قد شرعت في قصف القواعد الجوية في الجمهورية العربية المتحدة . وقد دمر او عطب ٧٥ بالمئة من الطائرات المغيرة .

٢ ــ بدأ الطيران المصري هجومه المضاد فوق اسرائيل نفسها . وفي سيناء اشتبكت القوات المصرية البرية بالعدو وهي الان تقوم بنشاط هجومي .

٣ ــ بناء عليه يأمر المشير عامر القائد العام للجبهة الاردنية بأن يفتح جبهة جديدة وان يبدأ العمليات الهجومية وفقا للخطة التي رسمت في اليوم السابق .

لم تمتد يدي الى الطعام ، وسارعت الى سيارتي الشخصية استقلها متوجها الى المقر العام حيث استبدلت من سيارتي سيارة جيب

عسكرية مجهزة باللاسلكي . وفي الطبقة الارضية من مبنى القيادة قرأت بامعان تعليمات المشير عامر على ضوء « النيون » المموه ، ثم سألت الفريق رياض ما هي التدابير التي اتخذت حتى الان ، فقال لي الفريق :

— أمرت مدفعيتنا باحتلال خطوط النار الامــامية ، وأصدرت تعليمات الى كتيبة مشاة تابعة للواء « الامام علي » بوجوب احتلال جبل « سكوبوس » في القدس .

وهذا الجبل يقع في المنطقة المجردة من السلاح وفيه يقوم المقر العام للجنرال النروجي اود بول رئيس أركان قوات الامم المتحدة .

وقد احتلت قواتنا جبل « سكوبوس » في وقت قصير .

واصدر الفريق رياض أمرا الى طائراتنا من طراز هوكر هونتر بأن تقصف ، بالتعاون مع الطائرات العراقية والسورية ، القواعد الجوية الاسرائيلية للحد من نشاط الطيران المعادي .

كان فريق من طيارينا يتم تدريبه في الولايات المتحدة الاميركية ، ولم يكن في الاردن سوى ستة عشر طيارا لقيادة اسطول جوي مــن ٣٢ « هوكر هونتر » . لهذا كان يستحيل على طائراتنا القيام بأية مناورة جوية ذات شأن من دون مساعدة الطيران العراقي والطيران السوري.

ولا بد من الاشارة الى ان ضعف طيراننا مرده الى ان حرب حزيران فاجأت الاردن وهو منهمك في تنظيم سلاحه الجوي على اساس خطة الدفاع المشترك التي ذهبت جهودنا في سبيل تنفيذها خلال المهلة المحددة (ثلاث سنوات) هباء منثورا . ويقع الجانب الاكبر من مسؤولية هذا الفشل على عاتق منظمــة التحرير الفلسطينية التي نسفــت الجهود المشتركة بتصرفاتها الرعناء .

ليس من حقي أن أدين الاخرين لكن من حقي ابداء الرأي .

في اطار تنظيم سلاحنا الجوي كان من المقرر ان نتلقى من الولايات المتحدة الاميركية ٣٦ طائرة من طراز « ستارفايتر ف ١٠٤ » . وقضى سوء الطالع بمقتل احد طيارينا وهو يقود احدى هذه الطائرات في اميركا، وبمقتل طيار اردني اخر ومعه معاونه في حادث مماثل وقع في الاردن لطائرة من الطراز عينه . وجدير بالذكر ان حوادث مماثلة وقعت في المانيا الاتحادية لطائرات من طراز ستارفايتر ف ١٠٤ .

وكانت ست من الطائرات الاميركية قد وصلت الى عمان في مطلع

حزيران مقلة عددا من المدربين الاميركيين ، وذلك تنفيذا لاتفاق كنا قد عقدناه مع واشنطن . وقد أمنا على هذه الطائرات لدى شركة لبنانية — سويسرية ، غير ان عقد التأمين لم يشمل الاخطار الناجمة عن الحرب .

وقبل أيام من بدء النزاع ادركت أن طائرات التدريب الست التي أعارتنا اياها حكومة واشنطن قد تتعرض لخطر التدمير وهي جاثمة على الارض ، في حال نشوب نزاع مسلح ، فطلبت من المدربين سحبها من الاردن ، فحاول هؤلاء اقناعي بأن مخاوفي ليست في محلها ، وتمكنت في النهاية من حملهم على سحبها بقولي ان الطيارين الاردنيين غير مدربين على استعمال هذا النوع من الطائرات .

وبعد ظهر الاحد ٤ حزيران اقلعت الطائرات الست من عمان ، فنجت بذلك من اغارات الميراج الاسرائيلية .

الساعة التاسعة من صباح الاثنين ٥ حزيران كانت الحرب .

وارتأى الفريق عبد المنعم رياض ، رغبة منه في تكثيف النيران الموجهة الى قواعد العدو الجوية ، اشراك مدفعيتنا الثقيلة ذات المدى البعيد في عملية النسف . وفي الوقت نفسه صدرت الاوامر الى مدفعية الميدان بفتح نيرانها . اما طائرات الهوكر هونتر فقد كانت على أهبة الاقلاع للقيام بمهمتها بالتعاون مع الطيران العراقي والطيران السوري .»

(فانس ولويــد يسألان الملك) :

— لماذا لم يسارع الطيارون الاردنيون الى الاقلاع بطائراتهم فور نشوب النزاع ؟

— لاننا كنا ننتظر السوريين . فبدون مساعدة طائراتهم الميغ لا يمكن ان يسفر قصف قواعد اسرائيل الجوية عن نتيجة مهمة . ومنذ الساعة التاسعة اتصلت قيادة العمليات الجوية بالسوريين ، فكان جوابهم انهم بوغتوا بالاحداث ، وان طائراتهم ليست مستعدة ، وان مطارداتهم تقوم برحلة تدريبية . وطلبوا امهالهم نصف ساعة ، ثم عادوا وطلبوا امهالهم ساعة ، وفي العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين كرروا الطلب نفسه فوافقنا . وفي الحادية عشرة لم يعد بالامكان الانتظار ، فأقلعت الطائرات العراقية من قاعدتها لتنضم الى سلاحنــا الجوي

وتساهم في القيام بالمهمة المشتركة المنوطة بسلاح الطيران .

وكان من نتيجة الاستمهال المتكرر من جانب السوريين ان عملياتنا الجوية لم تبدأ الا بعد الساعة الحادية عشرة صباحا .

وما زلت اذكر ان مراقبا من بلد صديق كان يتتبع معنا سير العمليات من مقر القيادة ، اذكر ان هذا المراقب انتحى بي جانبا ونصحني بنقل العتاد الجوي الذي لا يمكن استخدامه في المعركة الى خارج الاردن فيسلم من الاغارات الجوية الاسرائيلية التي لا بد من حصولها .

والعتاد الذي الح اليه المراقب الصديق يتالف من :

— طائرتي نقل مدنيتين من طراز د.س ٧ .
— طائرتي هليكوبتر انكليزيتين (طائرة سكوت وطائرة من طراز ا س ٥٥) .
— طائرة سيستا اميركية ذات مقعدين (للتدريب) .
— طائرة من طراز UNOC ٣ .
— ثلاث طائرات شيبمونك انكليزية للتدريب .
— طائرة هيرون (للنقل) .

فضلا عن طائرتي هليكوبتر فرنسيتين من طراز الويت ٣ (وقد سلمتا من التدمير بفضل جراة طياريهما) .

لا شك في وجاهة راي المراقب الصديق ، غير اني وجدت صعوبة في اللجوء الى التدبير الذي اشار علي باتخاذه ، بالرغم من ادراكي مدى الخطر الذي يتعرض له العتاد الجوي المجمد على الارض في حال حصول اغارات جوية معادية .

وفي هذه الاثناء تلقيت وانا داخل مقر قيادة العمليات الحربية مخابرة هاتفية من القدس وكان المتكلم الجنرال النروجي أود بول رئيس أركان القوات الدولية في الشرق الاوسط . وقد نقل الي الجنرال نداء وجهه الى الاردن أشكول رئيس حكومة اسرائيل وفيه يحيطنا علما بأن الهجوم الاسرائيلي بدأ صباح الاثنين ٥ حزيران بعمليات موجهة ضد مصر ، ويضيف : « اذا امتنعتم عن التدخل فلن يصيبكم ضرر » .

وكنا نحن في هذه الاثناء نقاتل في القدس وكانت طائراتنا قد اقلعت وفي نيتها قصف القواعد الجوية الاسرائيلية ، لهذا قلت للجنرال

— بدأ الاسرائيليون الاعمال العدوانية بفتحهم النار أولا ، وهم الان يتلقون الرد من طائراتنا .

وبالفعل هاجمت طائراتنا الهوكر هونتر مطار ناتانيا الاسرائيلي ثلاث مرات متوالية وعادت سالمة . وابلغنا طيارونا انهم دمروا اربع طائرات معادية وهي جاثمة على الارض ، وهي الطائرات الوحيدة التي شاهدوها . اما الطيران العراقي فقد تولى في الوقت نفسه قصف مطار اللد ، ثم جاء دور الطيران السوري ، بعد طول انتظار ، فأغار على القاعدة الجوية في « رامات دافيد » وعلى مصفاة البترول في حيفا .

ولما كنت اعتقد ان المبرر الوحيد لغلطة ترتكب هو الدرس الذي يمكن استخراجه منها ، يهمني ان أوضح هنا — دون أن احاول القاء مسؤولية الفشل المشترك على فريق معين — ان عاملين اثنين قد أوصلانا ، والنزاع في مستهله ، الى ما انتهينا اليه وجعلانا ندفع الثمن غاليا .

فمن جهة فوت علينا تأخر الطيران السوري في التدخل فرصة ذهبية كان يمكن ان ننتهزها لقلب الموقف لمصلحة العرب . فلولا تردد السوريين لكنا قد بدأنا عمليات القصف الجوي في وقت مبكر ، ولاستطعنا اعتراض القاذفات المعادية وهي في طريق عودتها الى قواعدها بعد قصفها القواعد المصرية ، وقد فرغت خزاناتها من الوقود ونفذت ذخيرتها ، وكان بأمكاننا حتى مفاجأتها وهي جاثمة في مطاراتها تملأ خزاناتها استعدادا لشن هجمات جديدة . فلو قيض لنا ذلك لتبدل سير المعركة وتبدلت نتائجها .

من جهة اخرى أسارع الى القول انه ليس من العدل في شيء تحميل السوريين وحدهم مسؤولية التسبب في تفويت تلك الفرصة علينا فقد زودنا منذ اللحظة الاولى لنشوب النزاع بمعلومات غير صحيحة عما حدث في مصر اثناء الهجوم الاسرائيلي على قواعدها الجوية . وجدير بالذكر ان المشير عامر ابلغنا في برقية ثانية ان الهجوم الجوي الاسرائيلي مستمر واكد مرة اخرى ان المصريين اسقطوا وعطبوا ٧٥ بالمئة من طائرات العدو ، وقال ان القاذفات المصرية انتقلت الى الهجوم المضاد ودمرت المطارات الاسرائيلية ، وان الجيش المصري دخل اسرائيل عبر النقب .

لقد ساهمت هذه الاخبار غير المنطبقة على الواقع في اشاعة البلبلة

وفي تشويه نظرتنا الى الامور وتقديرنا للموقف ، تشويها جعلنا نظن ان اسطول مصر الجوي مقبل باتجاه اسرائيل للقيام بمهمته وذلك عندما سجل الرادار عندنا ظهور طائرات فوق أراضي العدو مقبلة من ناحية الجمهورية العربية المتحدة . وقد تبين فيما بعد انها طائرات العدو عائدة من مصر بعد أن قامت هناك بالدور المسند اليها .

غادرت مقر قيادة العمليات الجوية جاهلا الوقائع على حقيقتها ، شبه مطمئن وفي نيتي التوجه الى مقر قيادة الفريق عبد المنعم رياض ، عندما حط أول سرب من طائراتنا الهوكر هونتر عائدا من اسرائيل ؛ وما لبث ان لحق به سرب آخر . وقد سرتني عودة جميع طائراتنا الى قواعدها سالمة .

أما الحديث القصير الذي دار بيني وبين الطيارين فقد عزز تشاؤمي بشأن العمليات التي سيدعى سلاحنا الجوي للقيام بها . فطيارونا لا يعرفون بالضبط ما ينبغي لهم عمله . انهم ، طبعا ، ينفذون الاوامر بحرفيتها دون أي تردد . لكن الاوامر التي نصدرها اليهم مقتضبة جدا ويعوزها الوضوح ، ذلك ان افتقارنا الى المعلومات الصحيحة يجعلنا عاجزين عن اصدار تعليمات مفصلة ، فيضطر طيارونا والحالة هذه الى ارتجال المواقف لانهم لا يملكون ، شأن طياري اسرائيل ، معلومات واضحة تمكنهم من اتباع خط سير محدد وتنفيذ خطة واضحة المعالم والاهداف. فالطيارون الاسرائيليون يعرفون كل شيء عن الاهداف المحددة لهم . الم تعترف السلطات الاسرائيلية بعد انتهاء حرب حزيران بأن طياريها كانوا يحملون دليلا يتضمن معلومات دقيقة عن كل قاعدة جوية من القواعد الاثنتين والثلاثين التي يملكها العرب ، ويحدد الاهداف التي ينبغي قصفها ، ومتى وكيف يجب مهاجمة هذه الاهداف .

كانت لدي هذه الصورة عن الحرب المزعومة حربا عندما قررت الانتقال من مقر قيادة العمليات الجوية الى مقر القائد العام للجبهة الفريق عبد المنعم رياض .

ومع هذا الانتقال بدأت المصائب تحل بنا .

ففي الساعة الثانية عشرة والنصف ، وفور وصولي الى المقر العام ، وصلت الموجة الاولى من القاذفات الاسرائيلية والقت قنابلها على مطار عمان . »

الفصل التاسع

محاولة اسرائيلية ضد الحسين

في الخامس من حزيران ١٩٦٧ وفي منتصف الساعة الاولى بعد الظهر رد الاسرائيليون على الاغارات الاردنية والعراقية والسورية المشتركة ، وكان مطار عمان العسكري أحد أهداف الهجوم الذي شنته طائرات الميراج . وخلال هذا الهجوم حاول الاسرائيليون قتل الملك حسين .

لكن الملك رفض ان يحدثنا عن هذه المحاولة .

— لا استطيع ان اقول شيئا لاني لم ار شيئا . وعلى كل حال فالامر لا أهمية له .

واليكم ما قاله بهذا الصدد زيد رفاعي رئيس التشريفات في القصر الملكي .

« الساعة الاولى والدقيقة العاشرة بعد الظهر هاجمت موجة ثانية من طائرات العدو مطار عمان . وكان قصف المطار قد بدأ منذ اربعين دقيقة (استمر حتى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر) ، واسفر عن تدمير طائراتنا كلها وهي على الارض منهمكة بالتزود بالوقود والذخيرة .

« وكنت أنا في القصر الملكي الذي لجأ معظم موظفيه الى الملاجىء ، ملازما مكتبي ومعي معاوني معتصم البلبيسي ، فقررنا الخروج لمشاهدة ما يجري بعد أن بلغ مسامعنا دوي الانفجارات . ورأينا على المدخل جنديين من البدو يتوليان الحراسة ، وفيما نحن نهبط السلالم تجددت الانفجارات بشكل حملنا على الالتفات ناحية مطار عمان ، فشاهدنا غيوما رمادية كثيفة تلفه ، كما شاهدنا المقاتلات الاسرائيلية تقذف صواريخها ثم تتجه نحو الجهة التي يقوم فيها القصر الملكي فتدور دورة واحدة ثم تعود الى حيث المطار لتلقي عليه قنابلها . وكانت طائرات العدو تحلق على ارتفاع بسيط تمكنت معه لا من رؤية الطيارين وحسب ، بل من رؤية ملامحهم وقد ارتسمت عليها امارات الدهشة ولعلهم كانوا

يتساءلون وهم يشاهدوننا رفيقي وانا ماذا نفعل خارج الملاجيء ولماذا نعرض انفسنا للتهلكة بمثل هذه الخفة ؟

« وفي الساعة الثانية والنصف خيل لنا ان الاغارة الاسرائيلية قد انتهت ، اذ لف السكون فجأة هضاب عمان السبع . وبدا هذا السكون أشد وطأة من هجمات الطيران الإسرائيلي ، لانه فرض وجوده ، مقلقا ، ثقيلا كالكابوس كما فرضت وجودها اعمدة الدخان الرمادية المرتفعة فوق الهضبة التي يقوم عليها المطار .

« فقفزنا رفيقي وانا الى سيارتي وفي نيتنا التوجه الى المطار لنقف على مدى الخسائر التي الحقها به العدو . وقبل أن تتحرك بنا السيارة شدني البلبيسي من ذراعي وهو يتطلع نحو الافق ... واذا الطائرات الاسرائيلية مقبلة نحونا ، فعددنا اثنتي عشرة « ميستير » ، وفجأة تحولت خمس منها نحو الجنوب وخمس نحو الشمال بينما تابعت اثنتان التقدم صوب الهضبة التي يقوم عليها القصر الملكي ، فقلت لرفيقي : « يجب ان نخرج من السيارة حالا لان هجوم العدو يستهدف القصر هذه المرة . » وهنا تدخلت مدافع القصر المضادة للطائرات فأصيبت احدى الطائرتين المغيرتين في جناحها الايمن الذي اشتعلت فيه النار ، فابتعدت متجهة نحو الشمال حيث سقطت على مقربة من عمان . اما الطائرة الاخرى فقد انقضت على القصر حتى كادت تلامس الاشجار المقابلة لنوافذ مكتب الملك الخاص ، ثم اطلقت صاروخها الاول فانفجر لدى ملامسته الجدار ، واتبعته بصاروخ اخر دخل قاعة الإجتماعات ، ثم رأيناها تعتدل وتبتعد قليلا نحو الشمال لتعود بسرعة خاطفة نحو القصر وتفتح نيران رشاشاتها من مسافة قريبة جدا على مكتب الملك ، محكمة ضرباتها احكاما مدهشا ، يدل على معرفة تامة بالمكان واقسامه .

« اثناء الهجوم على القصر لازم الجنديان اللذان يحرسان المدخل مكانهما ، وقد شق عليهما أن يتمكن الاعداء من القيام بمحاولة تستهدف حياة الملك ، فصبا جام غضبهما على طائرة « الميستير » سبابا ولعنات وعشرات الطلقات من بندقيتيهما .

« دخلت القصر لاتبين مدى الاضرار ، فاذا رصاص العدو قد فتح فجوات في الجدار القائم خلف مكتب الملك ، واذا المقعد الذي يجلس عليه الحسين قد مزقه الرصاص . فتبادلنا مساعدي وانا نظرات معبرة

عما جال في خاطرنا : لو وجد الملك هنا قبل لحظات لما قيض له ان ينجو من رصاص العدو .

« عدت الى مكتبي واتصلت بالملك هاتفيا ، وكان في المقر العام :

— لقد الحق العدو بالقصر بعض الاضرار ، ولكنها بسيطة ، فليس ما يستوجب اهتمام مولانا .

فأكتفى الملك بسؤالي عما اذا كان الاعتداء قد سبب سقوط جرحى ، ولما اطمأن الى هذه الناحية قال لي بلهجة هادئة قبل ان يقفل الخط :

— اذن كل شيء على ما يرام . »

الفصل العاشر

تدمير الطيران الاردني

« في قاعدة المفرق الجوية
لم يبق قائما الا نادي الطيران »

« يوم الاثنين ٥ حزيران وبعد دقائق من انتهاء الهجوم الجوي الاسرائيلي على عمان ، اتصل بي الرئيس عبد الناصر هاتفيا للمرة الاولى منذ نشوب النزاع ، وبدأ حديثه بتكرار ما سبق للمشير عبد الحكيم عامر ابلاغنا اياه في الصباح . « قصفت طائرات العدو قواعدنا الجوية ونحن نرد بقصف قواعدها ، وبشن هجوم عام في النقب » ثم طلب مني عبد الناصر ان ابذل قصارى جهدي في سبيل احراز مكاسب ارضية بسرعة وقبل ان تصدر الامم المتحدة أمرا بوقف اطلاق النار ، وأوضح قائلا : « لانه بلغني أن مجلس الامن سيتدخل مساء اليوم ويدعو الى وقف القتال » .

لم يقم في ذهني لحظة واحدة وانا استمع الى عبد الناصر انه في وضع دقيق جدا لا يحسد عليه ، وعرفت ذلك فيما بعد .

الساعة الثانية والنصف بعد ظهر الاثنين ٥ حزيران انسحب الاسرائيليون بعدما دمروا تدميرا تاما القاعدتين الجويتين اللتين نملك وهما : مطار عمان ومطار المفرق ، وواضح انهم استهدفوا تعطيل المطارين وجعلهما غير صالحين كما استهدفوا تدمير سلاحنا الجوي .

سبق وقلت ان سربين من الهوكر هونتر عادا ذلك اليوم من اسرائيل بعدما قاما بمهمتهما على اكمل وجه وحطا في مطار عمان العسكري حيث انهمك الطيارون بملء الخزانات بالوقود . ولم يشعروا الا وطائراتهم قد سحقت سحقا وهي جاثمة على الارض تحت وطأة الصواريخ والقنابل الاسرائيلية . وكانت طائرتان اردنيتان مقبلتين نحو المطار فاستطاعتا الدخول في معركة مع العدو .

في قاعدة المفرق الجوية كان الضابط العجلوني الذي عاد قبل

ساعة من اغارة موفقة على مطارات العدو على رأس سربه ، يتأهب لشن هجوم جديد ، عندما برزت موجة من قاذفات القنابل الاسرائيلية وقذفت بالصواريخ مدرج المطار ، وتبعتها موجة أخرى من الميراج فلم يتردد العجلوني في الاقلاع بطائرته الهوكر هونتر ، ولكنها ما ان ارتفعت قليلا حتى اصيبت اصابة مميتة فتحطمت وقتل الضابط الشجاع .

كان العجلوني أحد أمهر طيارينا . وهو الطيار الوحيد الذي استشهد في هذه الحرب المزعومة حربا . وقد اطلقنا اسمه على أحد شوارع عمان .

وعادت طائرات اردنية اخرى الى قاعدة المفرق بعدما قامت باغارتها الثالثة على اسرائيل ، ففوجئت بطائرات العدو تقصف المطار ، وتعذر عليها الهبوط . وعلى الاثر نشبت معركة جوية عنيفة فأسقطت طائراتنا أربع ميراج . ولكن التفوق العددي لدى العدو فضلا عن تفوق سلاحه أدى الى تساقط طائراتنا الواحدة تلو الاخرى ، وتمكنت هوكر هونتر من الصمود وحدها في وجه ثلاث ميراج ، غير انها سقطت تعانق الحضيض بعد نفاد ذخيرتها .

ومهما يكن من أمر ، فقد قضى العدو على سلاحنا الجوي الطري العود وذلك بالرغم من شجاعة طيارينا واستبسالهم .

تلك كانت حصيلة اليوم الاول من الحرب .

وكنا قد أصدرنا تعليمات الى قائد القطاع الغربي من الجبهة بأن يحتل المواقع الامامية وان يقصف بالمدفعية البعيدة المدى الاهداف الاتية اعتبارا من الساعة الخامسة بعد الظهر :

ـ محطة الرادار في القسطل .

ـ القواعد الجوية في كفر سركين والعين وشامر وماجيدو وكبول .

وقمت أنا عصر الاثنين بتفقد مطار عمان والمستشفى العسكري لاقف على الوضع عن كثب . وفي منتصف الساعة العاشرة ليلا توجهت الى المفرق للغرض نفسه .

في المفرق لم يبق قائما سوى نادي الطيارين .

في المستشفى العسكري تحدثت الى الطيارين جميعا حتى أولئك الذين اصيبوا في الهجوم الجوي الاسرائيلي المضاد على قواعدنا . وان انس ما انسى فتى سمعته يتأوه ويجمجم كلمات غير واضحة ، فتقدمت

من سريره وفي نيتي ان أطيب خاطره واواسيه ، وسألته عما اذا كانت جراحه مؤلمة ، فقال وهو ينظر الى يده الملفوفة بالضماد :

ـ ليس هذا ما يؤلمني ، انما يؤلمني اني فقدت ابهامي ولم أعد قادرا على استعمال الرشاش .

ورايت طيارا آخر يكاد يتميز غيظا لانه لم يشترك في القتال . ذلك اني ارغمته قبل ثلاثة ايام على دخول المستشفى العسكري لانه كان يشكو من آلام حادة في الكليتين .

جمعت الطيارين الاربعة عشر الذين سلموا وخاطبتهم قائلا :

ـ دمر العدو طائراتنا كلها . فيجب ان تضعوا انفسكم بتصرف العراق انتم والعناصر التقنية التابعة لسلاح الطيران ، وذلك قبل انتهاء المعركة .

وأعددت بنفسي تلك الليلة ترتيبات سفرهم بواسطة النقل الوحيدة المتوفرة : سيارة نقل عسكرية . فأقلتهم الى القاعدة العراقية هـ.٣ الواقعة على الحدود الاردنية ـ العراقيـة . وفور وصولهم وضع العراقيون بتصرفهم طائرات من طراز هوكر هونتر . وتمكن ثلاثة من طيارينا من اسقاط تسع طائرات معادية منها عدد من الميستير وثلاث ميراج وذلك خلال هجوم جوي اسرائيلي على القاعدة العراقية وعلى الرغم من افتقارهم الى رادار ينذرهم ويرشدهم .

وقد أسقط نقيب طيار هو احسان شردوم وحده طائرة ميراج وطائرتي ميستير وطائرة فوتور كانت عائدة من اغارة على محطة هـ٣٠ .

ولما كانت الميراج أسرع من الهوكر هونتر وافضل تسليحا ، كان النقيب شردوم ينتظر عودتها من الغارة بسرعة معتدلة وقد نضب الوقود في خزاناتها او اوشك ، ليهاجمها في ظرف موآت له. وخلال احد الاشتباكات حاول شردوم انجاد رفيق له كان في مأزق ، وتمكن من اسقاط طائرة معادية ولما هم بالانقضاض على طائرة اخرى ، طرأ عطل على الرشاش فانتهز الطيار الاسرائيلي الفرصة ونجا بنفسه وبطائرته .

واستمر طيارونا في بذل ما في وسعهم ، حتى اللحظة الاخيرة . فيوم الاربعاء ٧ حزيران ، يوم وقف اطلاق النار ، هاجمت ست طائرات اسرائيلية مرة اخرى قاعدة هـ.٣ العراقية ، فتمكن طيارونا من اسقاط أربع منها ، وقد قتل طياران معاديان ، ووقع في الاسر طياران آخران. »

الفصل الحادي عشر

تدمير الدبابات الاردنية

« يوم الاثنين قصفت مدفعيتنا البعيدة المدى دون ما هوادة الطرق والمناطق المحيطة بتل أبيب حيث توجد تحشدات عسكرية مهمة فضلا عن مطار اللد .

وهنا لا ارى بدا من التوقف عند خطأ تكتيكي في تحركات مدرعاتنا كانت له عواقب لا تقل جسامة عن خسارتنا سلاحنا الجوي .

كانت قواتنا المدرعة تؤلف لواءين من دبابات باتون ٤٨ هما اللواء الاربعون واللواء الستون . وقد اسندنا قيادة اللواء الاول الى العميد راكان عناد ، وكانت مهمته العمل على الجبهة الشمالية اي في القسم الشمالي من وادي الاردن والقطاع الشمالي الغربي من البلاد . اما اللواء الاخر فقد كان على رأسه ابن عمي الشريف زيد شاكر ، وكانت مهمته تغطية القسم الجنوبي من وادي الاردن على أن يظل وراء القدس تقيدا منا بأحكام اتفاق الهدنة المعقود عام ١٩٤٩ التي تنص على بقاء القوات المدرعة على مسافة معينة من ضواحي المدينة المقدسة وعلى وجوب امتناعها عن تخطي التخوم التي وافق الطرفان على تحديدها .

كانت القيادة العامة قد قررت الساعة الاولى بعد ظهر الاثنين ٥ حزيران القيام بمناورة تقضي بانتقال اللواء المدرع الاربعين الذي يغطي الجبهة الشمالية الى الجنوب ليحل هناك محل اللواء المدرع الستين الذي يحمي قطاع اريحا . وكان الفريق عبد المنعم رياض قد أمر اللواء الستين في الساعة الثانية عشرة والدقيقة الاربعين بالاتجاه نحو الخليل ومنها الى بئر سبع اهم قاعدة للدبابات الاسرائيلية . وكان الغرض من هذه المناورة تحقيق الاتصال بالعناصر المصرية التي كان مفترضا ان تكون على وشك بلوغ المواقع الامامية على الجبهة الجنوبية .

وكان نجاح هذه العملية رهنا بوصول امدادات سورية دون ابطاء الى الجبهة الشمالية ، لاننا كنا نعتمد عليها لملء الفراغ الذي تركه

انتقال اللواء المدرع الاربعين الذي سيترك مواقعه مكشوفة متيحا بذلك للعدو ان يفتح ثغرة تمكنه من القيام بحركة التفاف من الشمال واجتياح وادي الاردن وعزل ضفتي النهر . لقد كان افضل لنا واسلم ابقاء دباباتنا في مواقعها لاننا حشدنا اللواءين المدرعين شمالي الجبهة والى الجنوب منها مشكلين بذلك فكي كماشة يحولان دون وصول العدو الى وادي الاردن .

ما ان تلقى اللواء الاربعون تعليمات الفريق عبد المنعم رياض حتى تحرك نحو الجنوب وليس من غطاء جوي يحميه (كنا قد فقدنا عناصر هذا الغطاء) لهذا لاحقته الطائرات الاسرائيلية باستمرار وقد تمكنت مدفعية دبابات باتون من اسقاط اربع مطاردات معادية .

وبينما كان اللواء الاربعون يدخل ضواحي اريحا كانت الفرقة العراقية والكتيبة الفلسطينية تلقيان مشقة كبيرة في بلوغ اريحا وجرش لان طائرات الميراج كانت تلاحقهما وتسلط عليهما نيران رشاشاتها . وكان على العراقيين والفلسطينيين احتلال المواقع المحددة لهما في وادي الاردن الذي بات بحاجة ماسة الى المدد . لكن الفرقة العراقية لم تبلغ الوادي الا عندما شارفت المعركة على نهايتها ، وقد وصلت بحالة لا تحسد عليها ، لان الطيران الاسرائيلي كاد يبيدها عن بكرة ابيها بهجماته المتكررة .

اما دبابات اللواء الاربعين فقد نجحت بالرغم من ملاحقة طيران العدو لها ، في بلوغ اريحا والتمركز في المرتفعات المحيطة بها حيث حلت محل اللواء الستين تنفيذا للاوامر الصادرة .

وفي هذه الاثناء كانت دبابات العدو يدعمها الطيران تشن هجوما واسع النطاق على الجبهة الشمالية في قطاع جنين حيث لم يكن لنا سوى لواء من المشاة هو لواء « خالد بن الوليد » وسرية من السلاح المدرع قوامه دبابات من طراز باتون ٤٧ ... وكان اللواء والسرية يفتقران بالطبع الى الدعم الجوي . وقد بدأت المعركة عنيفة بل ضارية على الرغم من تفوق العدو تفوقا ساحقا من حيث العدد والامكانات . وتمكنت قواتنا غير مرة من صد هجمات الاسرائيليين الذين خسروا في الاشتباك الاول ١٧ دبابة . وحيال مقاومة قواتنا واستبسالها بدا على مدرعات العدو انها ستخلي الساحة فشجع ذلك مدرعاتنا على ترك مواقعها

لمطاردة اعدائها فارتكبت بذلك غلطة جسيمة اذ تصدى لها الطيران الاسرائيلي بعنف بعد أن كشفت نفسها . وقد كلفتنا هذه الغلطة التكتيكية خسارة سرية المدرعات . وبعد وقف اطلاق النار تبين لنا ان معظم لواء « خالد بن الوليد » قد أبيد .

عندئذ طلب الفريق رياض من السوريين بالحاح ان يتدخلوا ليخففوا العبء عن كاهلنا على الجبهة الشمالية ، فرفض السوريون بحجة انهم لا يستطيعون القيام بأية عملية ما لم يتوفر لهم الدعم الجوي .

وفي الساعة السابعة والربع مساء اتصل رياض لاسلكيا برئيس اركان القيادة الموحدة الفريق فوزي وابلغه ان العدو دخل قطاع جنين متجها نحو نابلس ، وان الموقف في جنين دقيق جدا ، واننا بأمس الحاجة الى المساندة الجوية من جانب سوريا والعراق في القطاع المهدد .

ولما يئس رياض أو كاد من وصول النجدات الجوية أصدر في الساعة التاسعة الا ربعا من ليل الاثنين — الثلاثاء أمرا الى اللواء المدرع الاربعين الذي كان يواجه العدو في اريحا ان يعود الى الشمال وأمر اللواء المدرع الستين بأن يحتفظ بمواقعه ، على ان يعهد الى بعض وحداته بالتوجه الى القدس التي كانت معارك طاحنة تدور حولها .

وفي التاسعة والنصف ليلا ترك اللواء الاربعون اريحا وسلك الطريق المؤدي الى الشمال بأقصى سرعة تسمح بها محركات الدبابات (٤٠ كيلومترا في الساعة) غير مكترث للصواريخ تقذف بها دباباته الطائرات المعادية . ولدى وصول اللواء الاربعين الى جنين القى بنفسه في أتون المعركة الدائرة فيها قبل ان يفكر بالتزود بالوقود .

كل هذه التحركات قررها الفريق عبد المنعم رياض وهو محاط بكبار الضباط الاردنيين والمصريين » .

الفصل الثاني عشر

الانهيار

« بالنسبة الي ، لقد خسرنا
هذه الحرب المزعومة ... »

سؤال : في اية لحظة شعرت ان الوضع لم يكن كما صورته لك القاهرة وان مصير المعركة كان قد تقرر ؟

« الساعة الثانية بعد ظهر الثلاثاء ٦ حزيران كان الوضع واضحا تماما . بالنسبة الي ، كنت اعتبر هذه الحرب المزعومة خاسرة . فسلاحنا الجوي اصبح خارج المعركة منذ البارحة . وجهاز الرادار الوحيد الذي نملكه — وهو من صنع بريطاني والذي مركزه شمالي عمان في جبل عجلون قرب جرش — دمر في جزئه الاكبر . والاشارات القليلة التي كان يبثها لنا كانت ، عمليا ، غير صالحة ، او يصعب فك رموزها . ومهما يكن من امر ، كانت اذاعة « صوت العرب » تبث بالتدريج هذه المعلومات الضئيلة التي كان يقطرها لنا الرادار ، كما كانت تذيع اخبار تحركات القوات العراقية . كانوا يعتقدون في القاهرة انهم يتصرفون تصرفا حسنا . ربما كانوا يفكرون ان هذا الاسلوب يرفع معنويات القوات الخلفية . على اي حال ، لم يكن امام الاسرائيليين الا ان يستمعوا الى اذاعة « صوت العرب » — ولم يحرموا انفسهم ذلك — لاحباط جهودنا بفعالية وباقل المجازفات . هكذا بدأوا ، منذ اليوم الثاني للنزاع ، يقصفون كل ما يتحرك على الطرق ، وبصورة خاصة في هذه المنطقة الممتدة من ساحة المعركة حتى مطارات هـ٣ والحبانية قرب بغداد .

ثم كان الخطأ التكنيكي الذي ارتكبناه مع مدرعاتنا جعلنا نخسر غالبية دباباتنا .

نتج عن كل ذلك اننا اصبحنا ، في الثانية بعد ظهر الثلثاء ٦ حزيران ، في وضع يائس الى درجة اننا فكرنا ، ليل الثلاثاء — الاربعاء ،

ان نطلب وقف اطلاق النار .

هذا الثلاثاء ، اليوم الثاني للحرب ، عند مطلع النهار ، لم تعد المعركة بالنسبة الينا سوى معركة دفاعية . وكانت التعليمات : الصمود!

عند الخامسة والنصف من الصباح ، اقترح علي الفريق رياض الفكرة الاتية : اما الحصول على وقف اطلاق النار بالطرق الديبلوماسية، او اصدار الامر الفوري بالانسحاب للعودة الى مراكزنا عند الضفة الشرقية من نهر الاردن خلال الليل . واضاف رياض :

— اذا لم نتخذ قرارا خلال الاربع والعشرين ساعة ، يمكنك القول وداعا لجيشك ولكل اراضي الاردن . نحن معرضون لفقدان الضفة الغربية ، فتصبح جميع قواتنا معزولة ومدمرة .

كنا في مركز القيادة العامة للجيش . فكرت لحظة ، ثم طلبت من الفريق رياض ان يستشير الرئيس عبد الناصر في الامر .

في هذه اللحظة ، بلغت هجمات الطائرات الاسرائيلية ذروتها .

في السادسة ، استطاع رياض ان يتصل بعبد الناصر وشرح له الوضع ، ثم حوله الي في مركز القيادة العامة للدفاع المدني ، حيث كنت قد انتقلت . وجرى الحديث ، كالعادة ، بواسطة خط هاتفي عادي . وكان يمكن استعمال اجهزة اتصال حديثة جدا ، تملكها القيادة العربية الموحدة ، ولكن لم تتخذ التدابير لاستخدامها . وبقيت هذه الاجهزة في القيادة العامة في القاهرة .

هذه المرة ، كان يبدو صوت عبد الناصر قلقا . تركز حديثنا بالدرجة الاولى على وضع الطيران ، وكثافة التدخل الاجنبي الذي كنا نشتبه بوجوده ، وكانت اذاعة القاهرة قد تحدثت عنه في نشرتي الاخبار عند الساعة الرابعة والدقيقة العشرين والسادسة والدقيقة العشرين من صباح الثلثاء ٦ حزيران .

وهذا الحديث الهاتفي ، بين عبد الناصر وبيني ، هو الذي سجله الاسرائيليون ، من دون علمنا ، وعدلوا فيه واذاعوه في كل مكان . »

(يقول الاسرائيليون ان هذا ما سمعوه وسجلوه من الحديث الهاتفي بين عبد الناصر وحسين) :

عبد الناصر : كيف حالكم ؟ اسمع ان جلالتك تريد ان تعلم اذا كنا نحارب على جميع الجبهات (مقطع غير مفهوم) ... هل يجب ان نعلن

ايضا ان الولايات المتحدة تتعاون مع اسرائيل ! الوا ! الوا ! لا تقطعوا ! لم اعد اسمع ... الخط سيء جدا . (صمت) . الوا ! هل نقول الولايات المتحدة وانكلترا ، ام الولايات المتحدة وحدها ؟

حسين : الولايات المتحدة وانكلترا .

عبد الناصر : هل لدى بريطانيا حاملات طائرات ؟

حسين : (جواب غير مفهوم)

عبد الناصر : حسنا . سينشر الملك حسين بيانا حول هذا الموضوع ، وسانشر بدوري البيان نفسه .

حسين : شكرا .

عبد الناصر : لا تستسلموا !

حسين : حسنا .

عبد الناصر : الوا ! الوا ! لا تقلقوا . كونوا اقوياء .

حسين : نعم ، اسمع يا سيادة الرئيس . اذا كان لديكم فكرة ، اي شيء ...

عبد الناصر : سنقاتل بجميع قوانا . قاتلنا على جميع الجبهات طول الليل . اذا صادفتنا بعض المتاعب في البداية ، فهذا غير مهم . سنخرج من هذا الوضع ، رغم كل شيء . الله معنا (مقطع غير مفهوم) ... اذن ، ستنشر جلالتك بيانا عن تدخل الاميركيين والانكليز .

حسين : (جواب غير مسموع) .

عبد الناصر : والله ، اقول انني سانشر بيانا ، وستنشرون بيانا . وسنحرص على ان يعلن السوريون ايضا ان الطائرات الاميركية والانكليزية تهاجمنا انطلاقا من حاملات الطائرات التي تملكها . سننشر اذن هذا البيان . سنؤكد تماما على هذه النقطة .

حسين : تماما ممتاز .

عبد الناصر : هل توافق جلالتك ؟

حسين : (جواب غير مفهوم) .

عبد الناصر : الف شكر . لا تستسلموا . نحن معكم من كل قلوبنا . اطلقنا اليوم طائراتنا على اسرائيل . وهي تقصف المطارات الاسرائيلية منذ هذا الصباح .

حسين : الف شكر . بالسلامة !

(فانس ولوير يعودان الى السؤال) :

— كيف ولدت عملية التدخل الاميركي — البريطاني هذه ؟

« قصة التدخل الاميركي — البريطاني افسحت المجال امام تأويلات عديدة وخاطئة بالطبع . وهذا امر طبيعي . لا يمكن التحامل على الناس اذا اخطأوا في تفسير حادث لم يشهدوه مباشرة . احب اذن ، وقد اتيحت لي الفرصة ان اوضح هذه القضية .

منذ صباح الاثنين ٥ حزيران ، وصلنا تقرير من مركز العمليات لسلاحنا الجوي يقول ان الرادار كشف وجود طائرات في منطقتين فوق المتوسط :

١ — على مسافة ٤٠ كيلومترا الى الشمال من برداويل .

٢ — الى الشمال الشرقي من بور سعيد .

وذكر التقرير ان هذه الطائرات المجهولة تختفي عن شاشة الرادار ابتداء من منطقة تقع عند نقطة عمودية من مطار اللد في اسرائيل .

ومن جهة اخرى ، اكتشف الرادار اشياء راسية في المتوسط . وشدد التقرير على ان هناك طائرات تحلق باتجاه اسرائيل ، على مستوى البحر ، في نقاط قريبة من هذه الاشياء الراسية . والنتيجة التي توصل اليها التقرير هي ان هذه الطائرات تعمل انطلاقا من حاملة طائرات . ونحن نعرف بطريقة لا تقبل الشك ، ان ليس لدى اسرائيل اية حاملة طائرات .

والرادار لا يعطي جنسية الطائرة .

وازداد ارتباكنا لاننا ، وفقا للمعلومات المصرية عن حصيلة الطائرات الاسرائيلية المدمرة ، يجب الا نواجه هذا العدد الضخم من طائرات العدو المستعدة للحرب استعدادا تاما .

وحين قدرنا قوة الطيران الاسرائيلي ، حسب معلومات حلفائنا ، وجدنا ان هذا الضغط الجوي الكبير وغير الطبيعي لا يمكن ان يكون من دون مساعدة اجنبية لاسرائيل .

والذي زاد من اضطرابنا هو تناقض بعض طيارينا . فهؤلاء اكدوا انهم شاهدوا طائرات مطاردة اسرائيلية مشابهة لطائراتنا (هوكر هانتر) . وبدا لنا ان هناك تفسيرا واحدا معقولا : هذه الطائرات « هوكر هانتر » — وهي طائرات لا تملكها اسرائيل — لا يمكن ان تأتي

الا من قاعدة قريبة في الشرق الاوسط .
وعلمنا في ما بعد ان هذه الطائرات ليست « هوكر هانتر » بل طائرات « ميستير » اسرائيلية تشبه طائراتنا ويمكن الخلط بينها وبين الهوكر هانتر . وكمثل على الخلط الناتج عن تشابه هذين النوعين من الطائرات لن اذكر غير هذه الحادثة :

قامت طائرات مطاردة اسرائيلية بمهاجمة احدى وحداتنا الآلية على الخطوط الامامية فلم تفعل هذه الوحدة شيئا . والسبب ان جنودنا حسبوا طائرات الميستر طائرات هوكر هانتر تابعة لسلاح الجو الاردني.

وفي ما بعد ، وبعد تحقيق اجريناه لمحاولة فهم ما نقله الينا رادارنا على شاشته ، تبين لنا ان الافتراض الاتي يمكن ان يكون قد حصل :

شرح لنا الخبراء انه بامكان الرادار ، في ظروف جوية معينة فوق البحر ، ان يعكس على شاشته صور اشياء من الصعب جدا تحديد هويتها — كالسفن — وتكون هذه الاشياء في الواقع موجودة خارج نطاق التقاط الرادار رغم انها تبدو ضمن نطاق مراقبته .

لقد اجتمعت مرارا بسفراء الدول الكبرى في مركز الدفاع المدني في عمان طول ايام الحرب . وبعثت الى عبد الناصر ببرقية اعلمه فيها ان سفير الولايات المتحدة اكد لي ان ليس هناك اي تدخل اميركي في هذا النزاع ، بالرغم من اني لم اقتنع بذلك وقتها .

قلت لجميع المسؤولين بمن فيهم الفريق رياض ، وذلك منذ بداية الحرب : ان الشيء الاهم في هذه القضية هو معرفة الحقيقة . اي : هل تحاربنا اسرائيل وحدها وبامكاناتها وحدها ام تحاربنا بدعم اتاها من الخارج ؟

ومهما تكن هذه الحقيقة فينبغي ان تكون لنا درسا .

منذ بداية الحرب حتى نهايتها لم اتوقف عن القول لضباطي ان افدح تهرب من المسؤولية ، واكبر خطأ هما ان نخفي اخطائنا ونقاط ضعفنا ليس فقط عن انفسنا ولكن ايضا عن الاخرين . ذلك لان الحقيقة تستوجب ، بالعكس ، ان لا يجهلها احد . ولهذا السبب اقدمت اذاعة عمان على بث التكذيب الاميركي فور صدوره .

كنت اطلب الحقيقة في كل شيء . ان الحقيقة والصراحة تهمانني اكثر من اي شيء اخر .

وقد زعم الاسرائيليون وكتبوا اني « اعترفت » بان قصة التدخل الانكلو اميركي مختلقة من اساسها .

هذا غير صحيح .

لقد اعتقدت ، في وقت ، حقا بوجود تدخل من الولايات المتحدة وبريطانيا . عندما اعلنت ذلك كنت مقتنعا به تماما » .

الفصل الثالث عشر

الـتـراجع الاردني

« كان ذلك اشبه بحلم ... او الافضل ان نقول انه كان كابوســا ... »

« باختصار ، لنعد الى الحديث الهاتفي الشهير الذي اجريته صباح الثلاثاء مع عبد الناصر . وقد حدثت الرئيس المصري ايضا عن الوضع على الجبهة الاردنية ، وكان رياض قد شرحه له بوضوح .

بعد ذلك ، وبناء علـى اقتراح عبد الناصر ، ارسل رياض ظهـر الثلاثاء الى القاهرة برقية بالشيفرة هذا نصها الحرفي :

« الوضع على الضفة الغربية اصبح يائسا . الهجوم الاسرائيلي يمتد على جميع الجبهات . قصف الطيران الاسرائيلي المتكرر يتوالى علينا ليلا نهارا ، ولا نستطيع ان نفعل ضده شيئا . والواقع ان القسم الاكبر من سلاح الجو السوري والاردني والعراقي عطّل تماما . »

« وفي النتيجة ، اصبح خيارنا محصورا بين ٣ حلول :

١ ــ اما اللجوء الى حل سياسي لوقف الاشتباكات فورا . وهـذا الحل يجب ان يصدر من مصدر اجنبي : الولايات المتحدة ، او الاتحاد السوفياتي او مجلس الامن .

٢ ــ اما اخلاء الضفة الغربية ، ابتداء من هذه الليلة .

٣ ــ او ، بالطبع ، محاولة البقاء على الضفة الغربية ٢٤ ساعـة اخرى . لكن ، في هذه الحالة ، يصبح الفناء التـام للجيش العربي الاردني أمرا حتميا .

كلفني الملك حسين ان اطلعكم على هذا الوضع ، لمعرفة رايكم وقراركم في أسرع وقت » .

الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرا ، ارسلت برقية شخصية الى عبد الناصر ، لادعم برقية رياض ، اكدت للرئيس المصري فيهـا اقوال الفريق رياض ، وقلت له ايضا :

« الوضع يتدهور . في القدس ، الوضع دقيق جدا . بالاضافة

الى خسائرنا الجسيمة في الرجال والمعدات ، تتعرض دباباتنا حاليا للقصف ، وهي من دون غطاء جوي ، وتعطب بمعدل دبابة واحدة كـل ١٠ دقائق . والعدو يركز الجزء الاكبر من قواته علـى الجيش العربي الاردني .

لا بد أن الفريق رياض اطلعكم ، في برقية سابقة ، على ما عرضته لكم الان . آمل اذن ان تطلعونا على وجهة نظركم بسرعة » .

وفي اللحظة نفسها تقريبا ، تلقى رياض من القاهرة جواب المشير عامر الاتي : « نحن موافقون على سحب قواتكم من الضفة الغربيـة ، وعلى تسليح المدنيين » .

اجبته ، ببرقية اخرى « لا نزال نصمد . نحاول ان نؤخر التراجع اطول وقت ممكن . المدنيون مسلحون منذ وقت طويل » .

سأذكر طويلا هذا الثلاثاء ٦ حزيران ١٩٦٧ ، اليوم الثاني لهذه الحرب المزعومة حربا .

رحنا نتشبث بالضفة الغربية للاردن تشبثا . في كل مكان ، فـي القدس ، في رام الله ، في الخليل ، في منطقة نابلس بأسرها ، كنـا نصمد ملتحمين ، من خندق الـى خندق ، من منزل الى منزل ، علـى السطوح ، في الكهوف . حتى اننا كنا نحارب للدفاع عن مداخل البيوت !

وقد اعترف الاسرائيليون انفسهم في ما بعد بضراوة المعارك وقالوا ان عنف المعركة مع الاردن لم يشهدوا مثيلا له على اية جبهة عربية أخرى .

غير ان هذا لا يمنع ان تكون حصيلة ايام المعركة الثلاثة التي عشناها ، حصيلة ثقيلة : ٦٠٩٤ قتيلا او مفقودا .

غادرت القيادة العامة في عمان ، خلال بعد ظهر هذا الثلاثاء ، الى وادي الاردن . كنت أريد دراسة الوضع على أرض المعركة . وهذه المبادرة ليست ، طبعا ، عمـلا استثنائيا . ففي سيارتي الجيب جهاز ارسـال والتقاط يتيح لي ، وانا على اتصال دائم مع القيادة العامة العليا فـي عمان ، متابعة العمليات الجارية ، في اماكنها وعلى الاقسام الاخرى من الجبهة في آن معا . اخذت أقود السيارة بنفسي لان ذلك يتيح لي مزيدا من التركيز الذهني للتأمل في ما يجري . ويجب ان اعترف اني احتجت الى وقت طويل ، بعد حزيران ، لاتحقق ، واهضم ، واتأكد مما جرى . كان ذلك أشبه بحلم ... او الافضل ان نقول انه كان كابوسا .

بالنسبة الي ، كانت احدى اصعب التجارب التي مررت بها هي مواجهة احداث كهذه ، وانا داخل غرفة في مركز هيئة الاركان . . . فانا افضل ان اكون مع جنودي في ساحة المعركة عوض ان اكون قابعا في القيادة العامة . في ساحة المعركة ، اشعر بارتياح اكثر لاني اطلع تماما على ما يجري فعلا في الجبهة . أمام خرائط مركز العمليات ، يبدو لي كل شيء مجردا ، غير واضح وغير أكيد . لا ريب انه ليست لي « قماشة » ضابط من هيئة الاركان . شخصيا ، لا اشعر اني أسيطر تماما على امكاناتي الا عندما اواجه الحدث مباشرة .

هذا الثلاثاء ، وبرغم هدوء الفريق رياض — فهو مسيطر دائما على نفسه ، وحاضر الاستعداد لكل شيء ، ويجد باستمرار ، مهما حدث ، لحظة ليأخذ قسطا من الراحة في احدى الغرف المعدة لذلك في الطبقة الاولى من القيادة العامة — بدا لكثير منا ان تطورات الاحداث حاسمة الى درجة لم نعد نطيق فيها جو غرفة العمليات .

لذلك قررت ان اتوجه الى الجبهة ، ووجدت ان معنويات رجالي وحالتهم الذهنية افضل ، ان لم نقل اكثر تشجيعا ، من الجو الذي يخيم على القيادة العامة . وكان ذلك أفضل بالنسبة الي .

لكن لا يمكنني ان انسى ابدا هذا المشهد المذهل للهزيمة : الطرق ملأى بسيارات الشحن ، وسيارات الجيب ، وجميع انواع السيارات المدمرة والمبتورة والممزقة ، والدخان لا يزال يتصاعد منها ، ورائحة المعدن والدهان المحروق . لقد ترك انفجار القنابل وراءه هذه الرائحة العفنة الخاصة به . ووسط هذه المجزرة المعدنية والميكانيكية ، ثمة رجال يجرجرون انفسهم . يتنقلون جماعات ، كل ٣٠ او ٤٠ ، جرحى ، منهكين ، يشقون طريقهم تحت ضربة الرحمة الرهيبة هذه ، التي تحاول ان تسددها لهم جحافل الميراج الاسرائيلية ، المولولة في سماء زرقاء لا غيوم فيها . سماء تسحقها الشمس .

ورحت اتعرف على الوحدات التي ينتمي اليها كل واحد من هؤلاء المهزومين . اسأل : « من اين تأتي ؟ ماذا جرى حيث كنت ؟ » .

وكان مطلب كل واحد بينهم ، مني ، هو :

— ارجوك ، سيدنا ، اعطنا طائرات ، ودعنا نرجع لنحارب ! طائرات !

امس ، في بدء الاشتباكات ، كانت الطائرات هي التي تنقصنا اكثر من اي شيء اخر . اليوم ، لم يعد هناك طائرة واحدة قادرة على الحرب.

كنت كلما تقدمت نحو الجبهة ، يزداد علي ثقل هذا المشهد المرعب: مشهد جيش أبيد ، وذلك الشعور المؤلم بالهزيمة .

والتقيت العقيد رقعان عند قائد اللواء الاربعين للمدرعات — افضل الالوية كلها — ولواء خالد ابن الوليد الذي حارب بضراوة في منطقة جنين بقيادة العقيد عوض محمد . وكنت قلقا جدا عليهما .

كانت الدبابات التابعة لهما تقف في الصف على جانبي الطريق ، يتصاعد منها الدخان ، كأنها أحصنة هائلة منهكة بعد سباق طويل جدا . الجو الحار يجعل الزيت المحروق نتنا . حطام المعدن يعرق بالشحم والغبار ، كسائقي الدبابات الذين تبدو على وجوههم الضمادات الملطخة ، والمربوطة بسرعة .

لا اعرف كيف اشكر جميع هؤلاء الرجال لكل ما بذلوه في ظروف لا يمكن تصورها ، من دون ان ينفروا ، وحتى النهاية .

كنت اريد ان اعرف ماذا حل باللواء الستين للمدرعات ، وقائده هو احد انسبائي الشريف زيد شاكر . منذ اليوم الاول لهذه التي يسمونها حربا ، استطاع الهجوم المتواصل للطائرات الاسرائيلية ان يضعضع لواءه تماما . واخبرني ، بالراديو ، انه لم يبق لديه الا ٦ دبابات على الضفة الشرقية حيث انسحب ، ثم قال :

— انا استعد لمجابهة نحو ٨٠ دبابة وسيارة اسرائيلية متجهة صوب الجسر ، على الطريق الرئيسية المؤدية الى عمان .

وقبل ان اتمكن من الاجابة ، اضاف باصرار :

— نحن نسيطر على الوضع . سنبذل جهدنا . ارجوك ، لا تأمرنا بالانسحاب .

عدد كبير من افراد عائلتي لبسوا ثياب الميدان واصيب الكثير منهم بجراح .

كان علي ، احد انسبائي ، وهو ابن الامير نايف ، يحارب في اللواء الستين للمدرعات . وقيل انه قتل . كنت اريد التأكد من موته ، لان العائلة طلبت مني ذلك . واذا بي اصادف وحدته . كانت الفرصة مناسبة لمعرفة الحقيقة ! لكني لم اجرؤ على السؤال . امام جميع هؤلاء

الاموات ، الذين يزدادون ساعة بعد ساعة ، ولكل منهم ، ايضا ، عائلته ، لم اشعر بأن لي حقا بأي امتياز ، حتى لو كان السؤال يتعلق بمصير نسيبي . لا شيء ، في نظري ، يبرر مثل هذا السؤال الشخصي .

ومهما قيل في عمان ، يومها — حيث روح النكتة بقيت حية لحسن الحظ : « راح الملك يحارب ومعه كل عائلته ... » ، فان هذه مأساة الاردن ليست قضية عائلة واحدة ، عائلتي . هذه المأساة تعني جميع الاردنيين ، بل الامة العربية بأسرها .

رجعت الى القيادة العامة للجيش لاعرف ماذا جرى . كان يجب الانتظار . وكانوا يطلعونني على تطورات الوضع .

وفكرت في التوجه مع حرسي الخاص الى الجبهة لمواصلة المعركة حتى النهاية .

في ختام هذا اليوم الثاني للنزاع ، الثلاثاء ٦ حزيران ، لم اعد اسمح لنفسي بالتوهم اذ ان المعركة كانت خاسرة نهائيا ، وهذا هو السبب :

الساعة الحادية عشرة والربع ليلا ، اجاب عبد الناصر شخصيا على البرقية التي وجهتها اليه عند الصباح . علمت منه — للمرة الاولى — ان سلاح الطيران المصري اصبح خارج المعركة ، بل اكثر من ذلك : كان الوضع ، في البر ، ميؤوسا منه . اعطاني الرئيس المصري صورة واضحة ، لا لبس فيها ، عن الوقائع التي تركونا نجهلها حتى الان . وقال : « العدو كسحنا ، بكل بساطة » . ثم نصحني بان افعل مثله واقطع العلاقات مع لندن وواشنطن » .

وهذا هو النص الكامل لرسالة عبد الناصر الى الملك :

« اخي العزيز الملك حسين .

تلقيت برقيتك .

علينا ان نواجه واحدة من تلك اللحظات المأساوية التي تمر بها الامم احيانا . ان من واجبنا مواجهة مسؤولياتنا ، من دون الاهتمام بالنتيجة . نحن نعرف كل شيء عن الوضع الصعب الذي تتخبطون فيه ، في الوقت الذي تتدهور جبهتنا ضحية ضربة قاتلة وجهها الينا امس الطيران الاسرائيلي . وبعد هذا اصبح على قواتنا البرية بعدما فقدت كل دعم جوي ، ان تتلقى الضربة من قوات متفوقة .

يوم يكتب التاريخ ، سيذكرون شجاعتكم وصمودكم . سيذكرون

ان الشعب الاردني البطل دخل المعركة لحظة فرضت عليه ، دون اي تردد ، ومن دون النظر لاي اعتبار ، الا اعتبار الشرف والواجب .

لقد فرض علينا العدوان ، وعلينا مواجهته من دون تقدير قوته .

اعتقد ان افضل قرار يمكن اتخاذه الان هو الانسحاب من الضفة الغربية للاردن ، مع الامل ان يأمر مجلس الامن بوقف اطلاق النار .

تاريخ الشعوب مليء بالتقلبات ، بالانتصارات والهزائم . لنأمل ان يكون ما نختاره الان، في هذه اللحظة الحرجة، حتى لو بدا لنا مريرا — خطوة ستتيح لنا التقدم .

انها مشيئة الله . ولعل فيها خيرا .

نحن نؤمن بالله ، ولن يتخلى عنا . وقد تحمل لنا الايام المقبلة النصر ، بفضله تعالى .

اخيرا ، اريد ان اعبر لكم عن تقديري لموقفكم البطولي ، وعن ارادتكم الشجاعة في الاختيار ، وعن البطولة التي اثبتها كل فرد من الشعب والجيش في الاردن .

« السلام عليكم ورحمة الله » .

وهذا هو رد الملك حسين الذي ارسله الى عبد الناصر في الثانية والنصف من ليل الثلاثاء — الاربعاء :

« اشكركم من كل قلبي على رسالتكم واود ان اطلع اخي اني اصدرت الاوامر الى جميع قواتنا في الضفة الغربية للاردن وعلى جميع الجبهات ان تبقى في المواقع التي تحتلها . نسأل الله ان ينصرنا وينصركم » .

بعد قليل ، تلقيت برقية جديدة من عبد الناصر تشرح لي بالتفصيل ، هذه المرة ، ماذا جرى في مصر .

وهذا هو النص الحرفي للبرقية :

« اسمحوا لي ان اطلعكم على تطورات المعركة في الجبهة

المصرية ــ الاسرائيلية :

جاء العدوان مفاجئا وغير متوقع . منذ اللحظة الاولى ، كان يستهدف شل قوتنا الجوية . وقد هاجم العدو جميع قواعدنا في وقت واحد ، مستعينا بعدد من الطائرات اكبر بكثير من العدد الذي كنا نعتقد ان اسطول الجو الاسرائيلي يملكه .

وقد استنتجت القيادة العليا لقواتنا المسلحة ، دون اي تردد ، ان الولايات المتحدة وبريطانيا تدعمان اسرائيل .

هذا الاستنتاج سببه في الواقع ان العدو كان يوجه هجومه الجوي بكثافة شديدة يصعب امامها الاعتقاد بان هذه الطاقة الضخمة يملكها الطيران الاسرائيلي وحده . وكان من نتيجة ذلك القضاء على قواعدنا كلها وعلى قوتنا الجوية .

ومنذ ذلك الحين ، وجدت قواتنا المتبقية انها عاجزة عن التصرف بشكل فعال .

ومن جهة اخرى ، ورغم الخسائر الجسيمة التي الحقناها بطيران العدو ، يبدو ان لدى اسرائيل طائرات احتياط عديدة بالاضافة الى الغطاء الجوي الذي اقامته الولايات المتحدة وبريطانيا فوق اسرائيل ، ولم يكن لقواتنا مثله .

مهما يكن من امر ، فان قواتنا في سيناء ملتحمة في معركة عنيفة مع العدو ، والخسائر جسيمة من الجانبين » .

اجبت عبد الناصر انه لا يزال بوسعنا ان نختار وقف اطلاق النار . كنا نريد ، على اي حال ، الحصول على وقف الاشتباكات ، ولم يكن أمامنا الخيار . لكني رضخت لهذا الحل الاقصى غصبا عني ، يساورني شيء مما يسمونه « القدرية الشرقية » .

وفي المقابل ، كان يبدو لي ان القبول بمثل هذا القرار ، ليس باسمي الشخصي بل باسم الامة العربية المحاربة ، هو امر لا يحتمل . ان صدم هذا الشعب الى هذا الحد ، بعد اعطائه كل تلك الامال ، يعني قذفه بعنف في خيبة امل مؤلمة سيجد صعوبة فائقة في تجاوزها .

على الحكام ان يتحملوا مسؤولية اخطائهم . لكن الخيبة تظل ، رغم هذا ، خيبة لا تمحى بالنسبة الى المواطنين الذين منحوا الحكام

ثقتهم !

صحيح اني كنت قد توقعت ما سيحدث . وقد حذرت الجميع مرارا . لكن هل يعتبر ذلك تبريرا ؟ لم اكن استطيع ان احتمي ، بصدق ولياقة ، وراء هذا العذر السهل الذي يقول « ان الشعب سيدرك في النهاية اخطاءنا ويصلحها بنفسه » .

هذا الثلاثاء ٦ حزيران الساعة الحادية عشرة ليلا (بالتوقيت المحلي الاردني) اصدرت الامم المتحدة امرا بوقف اطلاق النار فورا ومن دون شروط . وقواتنا لا تزال تقاوم في الخليل والقدس ورام الله وقطاع نابلس ، اي باختصار في الضفة الغربية كلها . وجاء امر وقف اطلاق النار في اللحظة المناسبة .

وللاسف ، كان الفريق رياض قد اصدر للتو امرا الى الوحدات التي لا تزال تحارب في الضفة الغربية للاردن ، بالانسحاب الى الضفة الشرقية . واعطينا فورا امرا مضادا الى قواتنا بالبقاء في المواقع التي يحافظون عليها منذ ٢٤ ساعة ، لاننا كنا نريد ، مهما كلف الامر ، تحديد الاضرار مع الاحتفاظ باكبر رقعة من الارض .

كان بعض الوحدات قد قطع الاتصال. وكان عليها ان تقوم بهجوم مضاد لاستعادة الارض التي تخلت عنها . واسرائيل ، من جهتها ، لا تريد اسكات مدافعها . بالعكس ، ضاعف الاسرائيليون هجومهم لاحتلال اكبر مساحة ممكنة من الارض . لذلك صدر الامر ، عند الساعة الاولى والنصف من ليل الثلاثاء ــ الاربعاء ، الى لواء الامام علي وفرقة الملك طلال للمشاة بالصمود في مواقعهما في قطاع القدس ، حتى اخر رجل .

في الليلة نفسها ، وعند الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين ، تبلغت الوحدات نفسها اوامر مضادة جديدة تطلب منها الامتثال لقرار وقف اطلاق النار الصادر عن مجلس الامن ، بمقدار ما يمتثل الاسرائيليون .

ونقل امر مشابه الى الوحدات الاخرى في بقية قطاعات الجبهة .

الاربعاء ، ظهرا ، سقطت القدس بعد مقاومة ضارية . ثم جاء دور نابلس لتستسلم ، بعدما تعرضت للقصف خلال ١٨ ساعة دون

توقف . واخيرا ، استطاع الاسرائيليون اجتياح اريحا والخليل .

واعطي الامر بالانسحاب الكامل الى كل ما تبقى من جيشنا في الضفة الغربية للاردن ، التي أصبح الاحتفاظ بها امرا مستحيلا .

واخذ الاسرائيليون ينسفون الجسور ، ويقطعون بذلك الضفة الغربية عن الضفة الشرقية ، للسيطرة تماما على الضفة الغربية للاردن التي كانوا يطمعون بها منذ زمن بعيد .

في الساعات الاولى من الخميس ٨ حزيران ، ابلغت الحكومة الاردنية الامين العام للامم المتحدة يوثانت اننا نقبل بوقف اطلاق النار الذي قرره مجلس الامن .

الا ان وقف اطلاق النار لم يتحقق فعلا وبشكل كامل الا بعد ظهر الخميس ، لان بعض رجالنا كانوا يواصلون الحرب حتى النهاية ، وبناء على مبادرتهم الشخصية .

حرب الايام الستة هذه الحرب المزعومة حربا ، انتهت بالنسبة الينا . واتاحت لاسرائيل ان تسلبنا القدس والضفة الغربية للاردن » .

وكان الملك حسين قد تحدث في تلك المناسبة ، وهو منهك ويغلب على صوته التأثر ، الى الاردنيين في خطاب بثته اذاعة عمان قال فيه :

« لقد حاربنا ببطولة وشرف . سوف تعترف البلاد العربية ، في ما بعد ، بدور الاردن في النزاع .

دافع جنودنا عن كل شبر من ارضنا بدمهم الغالي الذي لم يجف بعد ، والذي سيحفظ الوطن اثره . لم يهابوا التفوق الجوي الكامل للعدو ، الذي شل ، بالمباغتة ، الطيران المصري ، وكان اعتمادنا عليه .

الان ، ما حدث قد حدث . ان قلبي ينفجر بالالم عندما افكر بجميع جنودنا الذين سقطوا ، وهم اغلى من حياتي .

اخواني ، يبدو اني انتمي الى اسرة الذين عليهم ان يتألموا ، بمشيئة الله ، وان يضحوا بلا نهاية من اجل امتهم . ان المصيبة التي لحقت بنا هي اكبر من كل ما يمكننا ان نتصوره . لكن ، مهما بلغت فداحتها يجب الا يضعف فينا ، مهما كلف الامر التصميم على استعادة ما خسرناه .

واذا كنتم لم تكافأوا بالمجد ، في النهاية ، فليس لنقص في شجاعتكم ، بل لان تلك هي مشيئة الله .

ليكن الله مع شعبنا » .

الفصل الرابع عشر

حصيلة انكسار

« المهم في هذه القضية
هو معرفة الحقيقة ... »

(في ما يأتي حديث مع الملك حسين يهدف الى توضيح بعض النقاط .)

— ما هو دور الدول العربية الحليفة الاربع مصر وسوريا والعراق والسعودية في مساعدة الاردن ؟

« — ليس كبيرا جدا ! كنا قد فقدنا الغطاء الجوي منذ مدة طويلة، بحيث ان هجمات الطيران الاسرائيلي المتواصلة كانت تشل جميع حركاتنا .

أما بالنسبة الى الذخيرة والاغذية الخ ... فكان علينا الاكتفاء بما لدينا من كميات محفوظة . »

وقد يبدو مثيرا للاهتمام ، في هذا المجال ، نقل مقتطفات من « يوميات الحرب السرية » لهيئة الاركان العامة الاردنية ، سجلت فيها ، ساعة بساعة ، نشاطات القوات العربية الحليفة المشتركة بالجبهة الاردنية في حزيران ١٩٦٧ :

السعودية : لواء غير مكتمل يضم ٣ كتائب مشاة .

الخميس اول حزيران : ابلغ السعوديون القيادة العامة الاردنية ان قواتهم ستصل من تبوك في اليوم نفسه ، فأرسلنا اليهم فورا ضباط اتصال في المدورة .

الثلاثاء ٦ حزيران : وصلت اخيرا القوات السعودية (لواء غير مكتمل يضم كتيبة مشاة مع تجهيزاتها) الى المدورة .

الاربعاء ٧ حزيران : الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة

والخمسون مساء . امر الفريق رياض القوات السعودية بالتوجه الى القويرة . أجاب قائد الوحدات السعودية انه لا يستطيع اطاعة اي امر بالتحرك قبل ان تسمح له قيادته العامة في تبوك .

الخميس ٨ حزيران : وصل جزء من الكتيبة السعودية الاولى الى معان ، في ساعة متأخرة من الليل .

الجمعة ٩ حزيران : لحق بها ما تبقى من الكتيبة الاولى ، والكتيبة الثانية والقيادة العامة للواء . الا ان القوات السعودية لم تكتمل الا مع وصول الكتيبة الثالثة الاثنين ١٢ حزيران .

لم يتح المجال اذن للقوات السعودية للاشتراك بالعمليات الحربية في حزيران ١٩٦٧ .

الجمهورية العربية المتحدة : كتيبتان من القومندوس المصريين (الكتيبة الثالثة والثلاثون والثالثة والخمسون) .

السبت ٣ حزيران : بين الساعة الرابعة بعد الظهر والثامنة مساء ، هبطت ١١ طائرة مصرية في مطار عمان العسكري ، ونزلت منها الكتيبتان الثالثة والثلاثون والثالثة والخمسون من القومندوس .

التحقت الكتيبة الثالثة والثلاثون باللواء خالد بن الوليد ، في منطقة جنين . اما الكتيبة الثالثة والخمسون فالتحقت باللواء الهاشمي في منطقة رام‌الله .

الاحد ٤ حزيران : ما تبقى من القوات المصرية وصل من القاهرة . استطلع قائد الوحدات المصرية المكان ، واختار اهدافه .

الاثنين ٥ حزيران : صدر الامر الى القومندوس المصريين بالتعاون مع الفدائيين الاردنيين لتدمير ٦ قواعد للعدو :

على الكتيبة الثالثة والثلاثين نسف مطارات اللد ورام الله وعكا .

على الكتيبة الثالثة والخمسين أن تستهدف مطارات كفار سركين وهرزيليا وعين شامر .

وعلى الكتيبتين انتظار غروب الشمس لتقطعا الحدود وتقوما بمهمتهما . وقد مرت الكتيبة الثالثة والثلاثون . أما الكتيبة الثالثة والخمسون فلم تنجح ، باستثناء الفريق المكلف بعين شامر .

الثلاثاء ٦ حزيران : لم يستطع الذين تسللوا الى أرض العدو أن

يحققوا مهمتهم . تأخروا عند الانطلاق . وطلب اليهم العودة .

سوريا : لواء المشاة المدرع ١٧ .

الثلثاء ٦ حزيران الساعة العاشرة مساء : الملحق العسكري السوري السابق بالسفارة السورية في عمان ، العقيد عدنان طياره ، ابلغنا من الحدود السورية ـ الاردنية ، وهو في طريقه الى عمان ، ان اللواء ١٧ سيصل بعد ساعة .

الاربعاء ٧ حزيران الساعة الثانية صباحا : اللواء ١٧ لم يصل بعد .

الساعة الثانية والربع صباحا : اتصل الفريق رياض بغرفة العمليات في دمشق ، وطلب مساعدة لواء مدرع اضافي ، في اسرع وقت ممكن . وفي الوقت نفسه ابلغ دمشق ان اللواء السوري ١٧ لم يصل بعد .

الساعة الحادية عشرة صباحا : لم يصل اللواء ١٧ بعد الى الرمثا، وهي نقطة الحدود الاردنية الاولى مع سوريا .

الساعة الثامنة والدقيقة العشرون مساء : ظهرت أخيرا عناصر متقدمة من اللواء ١٧ . صدر الامر الى القيادة السورية باحتلال المواقع الدفاعية في محور وادي شعيب ، حين تكتمل وحداتها ، وذلك لافساح المجال أمام القوات الاردنية حتى تتجمع .

الخميس ٨ حزيران : أمضى القائد السوري يومه في دراسة مواقعه الجديدة مع ضباطه ، ليقوم بعد ذلك باحتلال هذه المواقع .

الساعة الثامنة مساء : اللواء السوري ١٧ لا يزال عند نقطة تجمعه الاولى في البقيعة .

الساعة العاشرة مساء : ضابط الاتصال الاردني الملحق باللواء السوري ١٧ ابلغ الفريق رياض ان قيادة هذا اللواء ترفض المرابطة في الموقع المحدد لها ، وتطلب مهلة اضافية حتى يوم غد . والسبب الذي اعطاه القائد السوري ، هو انه يريد ان يستكشف ضباطه المكان بشكل اكثر تفصيلا ، قبل المرابطة فيه .

حاول الفريق رياض ، عبثا ، اقناع القائد السوري بان يجري مناورته هذه الليلة .

الجمعة ٩ حزيران : أبلغ الفريق رياض القائد السوري انه يستطيع العودة الى سوريا مع قواته ، عند الغروب .

انسحب اللواء السوري ١٧ في الموعد المحدد . لم يشترك بأية عملية .

(فانس ولوير يسالان الملك) :

ـ لكن كان يبدو ان السوريين هم الذين يريدون الحرب . وقد سبق لرئيس الحكومة السورية الدكتور يوسف زعين ان صرح في القاهرة : « لم يعد الوقت للكلام . لقد دقت ساعة الحرب ... » هل كان ذلك خدعة ايضا ، ام هي المزايدة الكلامية العادية التي يتميز بها بعض الشرقيين ؟

« ـ الزمن وحده سيعطي تفسيرا لمسائل عديدة . لكن ما تأكدت منه هو ان الطيران السوري لم يكن مستعدا ، يوم ٥ حزيران ، للحرب . كانت حسابات الاسرائيليين صحيحة حين جازفوا واحتفظوا بـ ١٢ طائرة فقط للدفاع عن أراضيهم ، بينما كان الجزء الاكبر من قواتهم الجوية يشن هجومه الاول على القواعد المصرية . وبالاضافة الى ذلك لم يجدوا اي غطاء جوي فوق مصر . »

(فانس ولوير يسالان الملك) :

ـ السبت ٣ والاحد ٤ حزيران ، كانت الطائرات المصرية في الجو ، وفي حالة تأهب مستمرة . الاثنين ٥ حزيران ، لا شيء ! لماذا ؟

« ـ الحقيقة انه كان على المشير عبد الحكيم عامر يومذاك ان يقوم بجولة استكشافية في جبهة سيناء ، يرافقه الفريق أول محمود صدقي ، القائد الاعلى للقوات الجوية المصرية ، وعدد من ضباط هيئة الاركان المصرية . لذلك ، صدرت الاوامر ذلك الصباح بعدم اطلاق النار على أية طائرة في الجو .

غالبا ما وجهت الانتقادات الى الطيران المصري لموقفه خلال النزاع ، وفي رأيي ، ان القوات الجوية المصرية تصرفت بناء على أوامر

مبررة تماما ، ووفق استراتيجية محددة . واخفاق الطيران يعود الى ظروف مؤسفة . »

(فانس ولوير يشرحان) :

— الملك حسين ليس وحده من هذا الراي . فقد نشرت مجلة « باري — ماتش » أن الجنرال موردخاي هود ، القائد الاعلى لسلاح الجو الاسرائيلي ، اقترح الذهاب الى القاهرة ليدافع عن الفريق أول محمود صدقي ، الذي حكم عليه بالسجن ١٥ سنة لانه اعتبر مذنبا نتيجة خطأ فادح تسبب بهزيمة ٥ حزيران . وصرح هود للمجلة :

« لا اعرف شخصيا الفريق أول صدقي . كان ولا يزال عدوي .

« الساعة الرابعة من صباح ٥ حزيران ، قام صدقي بما يجب ان يقوم به تماما . بعث دورية الى الحدود الاسرائيلية ، مؤلفة من ١٢ طائرة مصرية . كان الفجر يبزغ في سيناء . وبين الرابعة والربع والخامسة صباحا ، توالت ٣ دوريات أخرى ، تضم كل منها ١٢ طائرة ميغ ، كل نصف ساعة فوق المتوسط وقناة السويس . لم يكن بامكان صدقي ان يعرف اني قررت ، في هذه اللحظة ، ان اهاجم قواعده في وضح النهار ، الساعة السابعة تماما (الثامنة بتوقيت مصر المحلي) .

« أذكر جيدا القلق الذي ساورني في السابعة والنصف من صباح ذلك اليوم . كانت طائراتنا تقترب من الشواطىء المصرية . وفجأة ، أبلغت ان طائرة « ايليوشن — ١٤ » تحلق فوق قناة السويس وهي متجهة نحو سيناء ، بدت على شاشات الرادار الاسرائيلية . هذه الطائرة هي التي كانت تقل المشير عامر والفريق أول صدقي .

« كان يستحيل ان انذر الطيارين الاسرائيليين ، الذين كانوا يحلقون على ارتفاع منخفض ، بعدما قطعوا اجهزة اللاسلكي كي لا يشعر أحد بوجودهم . وكان يخشى ان تكتشف طائرة الـ « ايليوشن — ١٤ » اسطولنا الجوي ، فتنبه القوات الجوية المصرية . هل كان خطأ صدقي اذا وجد ، في لحظة هجومنا المحددة ، مع المشير عامر في جولة تفتيشية ؟ لم يكن بأمكانه ان يعرف سلفا يوم الهجوم وساعته ، اذ ان اجهزة الاستخبارات لم تزوده بأي عنصر مفيد عن خطط اسرائيل . وكذلك لم يكن مستشاره ، الجنرال السوفياتي ، قد توقع حدوث شيء ...

« ولا بد من القول ان الخطط العملية لهيئة اركان سلاح الطيران المصري ، التي عثرت عليها اجهزتنا بعد احتلال سيناء ، كانت ممتازة من جميع النواحي . وكنا دفعنا الثمن غاليا لو نفذها الفريق اول صدقي . »

وما قاله الجنرال الاسرائيلي هود، ايده السيد محمد حسنين هيكل اذ اعلن ان وجود المشير عامر مع الفريق اول صدقي في الجو، صباح الخامس من حزيران ، « شل عمل المدفعية المصرية الحديثة السوفياتية الصنع والتي تطلق صواريخ من الارض الى الجو . وقد بقيت الطائرة في الجو ساعة ونصف الساعة قبل ان تتمكن من الهبوط في مطار القاهرة الدولي ، بسبب الهجوم الجوي الاسرائيلي . »

— والشقيري ؟ كيف تصرف خلال النزاع ؟

« — غادر الشقيري عمان السبت ٣ حزيران — بلباس ماو دائما — متوجها الى القدس لعقد مؤتمر صحافي والادلاء بواحد من تصريحاته الرنانة التي طالما خدمت ... الدعاية الاسرائيلية !

ظهر الاثنين ٥ حزيران ، رأينا الشقيري يصل الى مركز قيادة الفريق رياض في عمان ، وهو يرتدي هذه المرة ثيابا مدنية . بقي معنا طول بعد الظهر ، وكان يبدو واثقا جدا . في اليوم التالي ، ٦ حزيران ، غادرنا فجأة الى سوريا . كان يريد ان يطلب من دمشق ان تساعدنا اكثر مما فعلت حتى الان . ولا اريد اطالة الحديث حول هذه النقطة التي لا تستحق في نظري ، اي نوع من التعليق . »

— ما هو دور القوات العراقية والوحدات الفلسطينية في المعركة ؟

« — قامت الكتيبة الفلسطينية بنشاط مشترك مع القوات العراقية التي الحقت بها . لكن ، في الواقع ، وضعت هذه الكتيبة خارج المعركة بسرعة .

وباستثناء عبد الناصر ، اجريت اتصالات هاتفية مع الرئيس العراقي عارف خلال هذه الايام المفجعة . ولا يمكنني ان انسى ابدا ، شخصيا ، الطريقة التي ساعدنا بها العراق .

اذكر اية ظروف رافقت وصول القوات العراقية الى وادي الاردن دون ان تعبأ بالخسائر الجسيمة التي تعرضت لها .

ما ان انسحبت هذه القوات من شمال العراق ، حيث كانت تقمع حركة كردية ، حتى توجهت فورا نحو الاردن . وقد وصل اللواء العراقي الثامن السيار عند منتصف ليل الاثنين ٥ حزيران ، الى منطقة المفرق . كان اللواء الثامن يتحرك بشكل متواصل خلال الحرب ، وطائرات العدو لا تتوقف عن مهاجمته على الطرق الاردنية . هكذا دمر تماما الجزء الاكبر من معدات اللواء . برغم ذلك ، كان الجنود العراقيون يصرون على مواصلة تقدمهم نحو المواقع التي حددت لهم ، حتى لو ضحوا اخر سيارة لهم . لقد اعتبروا من واجبهم مساعدتنا بأي ثمن .

في الخامسة مساء الثلاثاء ٦ حزيران ، أرسل الينا العراق لواء المشاة الاول ثم لواء المشاة ٢٧ ولواء المدرعات السادس .

ولم ينم العراقيون ، الذين ينقلون هذه القوات ، طول اسبوع . ورغم تعبهم الشديد ، كانوا يتنقلون بين بغداد ووادي الاردن ، لاحضار المدرعات الى الجبهة . انني معجب بهم . قضوا هذه الايام كلها من دون راحة ولا غذاء . يا لمستوى هذا الشعب الكبير ! لقد قام بكل ما في وسعه .

منذ هذه التجربة ، وانا سعيد بتجديد علاقاتنا مع العراق . »

— كيف عملت اجهزة الاتصال الاردنية خلال النزاع ؟

« — كانت الاتصالات اللاسلكية سيئة جدا من جهتنا . وقد التقط الاسرائيليون مكالمات كثيرة خلال الاتصالات مع الطيران او مع وحدات الجيش البري . والقصف المتواصل لقواتنا كان يزيد من خطورة هذا الضعف . »

— ما هو الدور الذي لعبته اجهزة الاستخبارات الاردنية والعربية ؟ هل تعاونت بشكل فعال خلال هذا النزاع ؟

« — كانت اجهزة الاستخبارات الاسرائيلية اكثر فعالية في منطقة الشرق الاوسط بأسرها . كانت هذه الاجهزة تهيىء للعملية منذ سنوات . الطياران اللذان قمنا بأسرهما قالا لنا ان الاسرائيليين يتدربون منذ سنة

ونصف السنة على تصاميم هي نسخة طبق الاصل عن الاهداف المحددة لكل منهم .

بالنسبة الينا ، نحن الاردنيين ، لم نقم بجولات استطلاعية جوية فوق اسرائيل . ولا يمكن القول ان ذلك كان وضع الاسرائيليين .

أما في ما يتعلق بأجهزة الاستخبارات العربية ، فلم تقدر حق قدرها قوة اسرائيل ومقدرتها . ولم تتعاون هذه الاجهزة خلال النزاع . وعلى اي حال ، لم يتح لها التعاون في الماضي ، وكانت تلك ايضا ثغرة . »

— كنت شاهدا لجميع القرارات التي اتخذها الفريق رياض ما رأيكم بتصرفاته ؟

« — فعلا شهدت جميع القرارات التي اتخذها رياض . بل شاركت فيها ، لان رياض كان يطلب موافقتي بالنسبة الى كل ما يعتبره مهما .

كان أصعب قرار اتخذته هو اضطراري الى الموافقة على اقتراح الفريق رياض بسحب قواتنا من الضفة الشرقية للاردن . كان هذا اقسى قرار يمكن اتخاذه تجاه مواطنينا في الضفة الغربية ، والقدس بصورة خاصة ، التي تخلينا عنها .

في ما يتعلق برياض ، فأنا اعتبره جنديا أصيلا وضابطا قديرا . ان تربيته ممتازة .

وعلى ذكر رياض ، اذكر ليلة الثلاثاء ٦ حزيران ١٩٦٧ حين كنا ننتظر ، انا والفريق المصري ، النجدات السورية .

وسبق هذه النجدات ضابط اتصال سوري ، وصل الى القيادة العامة ليستفسر عن الوضع ويهيىء الاتصال بيننا وبين القوات السورية .

وعندما وضعنا امامه حصيلة الوضع الحرج ليلة هذا الثلاثاء ، استمع الى شروحنا من دون ان يصدر عنه اي رد فعل . وبعدما انتهى عرضنا للوضع ، سألنا بلا مبالاة :

— هل يعني ذلك ان الضفة الغربية للاردن قد ضاعت ؟

« اريد ان اعترف انه ، للمرة الاولى منذ بدء العدوان الاسرائيلي ، شعرت بغليان داخلي شديد . كيف يمكن ان يكون قليل الاهتمام على

هذا الشكل ، وغير واع لما يجري ؟ كيف لا يدرك الواقع ؟

حدد له رياض المراكز المتقدمة التي نرغب ان يحتلها السوريون ، ليتيحوا لنا مجال التجمع واعادة التنظيم . الا ان الوحدات السورية ، من تأجيل الى تأجيل ، لم تحقق قط هذه المهمة ولم تشارك في اية عملية .

من جهة ، كان علينا محاربة الاسرائيليين ، ومن جهة أخرى كان علينا مواجهة استحالة تحقيق اي شيء . وقد بلغ بنا الامر الى درجة ان رياض قال لي يوما :

ـــ كان أكبر عمل لي هو تمثيل دور يوثا نت بين السوريين وبينكم !

لذلك اطلقنا عليه من باب المزاح لقب يوثانت .

كان رياض يعتبر ان السياسة العربية مسؤولة عن كل خطأ وقع خلال أزمة حزيران ١٩٦٧ . وفي رأيه ان هذه السياسة ارتكبت بحق القوات العربية جرائم اكثر مما ارتكب الاسرائيليون خلال تلك الحرب المزعومة حربا .

وكنت من رأيه تماما .

نظرا للطابع الخاص الذي تميزت به معركة الاردن ، والتي قادها رياض دون ان يعرف الارض وامكانات الرجال التابعين له ، وهو تحت رحمة معلومات مهزوزة تتعلق بالوضع على مختلف الجبهات الحليفة ، كان يصعب على الفريق المصري أن يتصرف بشكل افضل .

بعد وقف الاشتباكات ، بقي رياض بضعة أيام أخرى في الاردن لينتظر وصول القوات السورية وليضع مخططا لتنسيق العمل مع القوات العراقية .

قبل عودته الى القاهرة جاء يودعني . كان الوقت بعد الظهر ، وانا اقيم في المكتب الجديد داخل القصر ، بعدما أصابت رشاشات الطائرات الاسرائيلية مكتبي القديم .

ورغم كل ما حصل ، شكرته على مساعدته ، وقلت ، محاولا التخفيف من تأثره :

ـــ بذلت قصارى جهدك .

قال لي كم هو فخور بالطريقة التي تصرفت بها قواتنا . وابدى ايضا ملاحظات اخرى، بينها رأيه الصحيح في السياسة العربية المسؤولة

عن هزيمتنا .

وكان تعسا مثلنا للطريقة التي انتهت بها المعركة في القدس ، وفي اماكن اخرى .

جمعتنا اخوة السلاح . ونحن الذين تعاونوا واياه ، نعتبره ، كلنا ، صديقا . »

ـــ هل حاولت ان تحاكم المسؤولين عن بعض الاخطاء التي ارتكبت ، كما حصل في القاهرة ؟

« ـــ لا . كل واحد تصرف وفق مقدرته وامكاناته وطاقاته .

البعض قام بعمل فوق طاقته .

والبعض الاخر لم يكن بأمكانه ان يفعل اكثر مما فعل .

والاخرون كانت امكاناتهم المحدودة تجعلنا لا نأمل منهم ان يقوموا بأكثر مما قاموا .

وبالاضافة الى ذلك ، لم اشعر قط بعداء او مرارة حين كنت اتحدث مع ضباطي وجنودي . قمنا بتحليل العملية التي جرت . ودرسنا بدقة كل قرار اتخذ فيهذه الحرب المزعومةحربا والنتائج التي ادى اليها.

بالتأكيد ، لم أكن استطيع ان امنع نفسي من التأثر الشديد حين كنت أفكر بأن ١٥ سنة من العمل والجهد الشاق ـــ بالنسبة الي والى جميع الذين يحيطون بي ويتعاونون معي ـــ قد انتهت الى هذا الوضع المحزن الذي يجب علينا الان مواجهته . لذلك تساءلت مرات عدة ، منذ ذلك الحين اذا كان عادلا ام لا اتخاذ هذا القرار او ذاك . وهو تحد ينبغي مواجهته بشجاعة رغم مرور الزمن .

بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، تبدلت المعطيات الجغرافية والاستراتيجية بخسارة الضفة الغربية وقوتنا العسكرية . وقد فرضت النتيجة نفسها بنفسها : يجب اعادة النظر في سياستنا الدفاعية واعادة تنظيم وسائلنا الدفاعية تنظيما كاملا ، للنهوض وتجنب بعض الاخطاء التي ارتكبت خلال هذه الحرب المزعومة حربا ، في المستقبل .

نعم ، أقول الحرب المزعومة حربا مع اسرائيل .

الواقع انني لم أحارب ضمن شروط الحرب . كما انني لم أعلن قط الحرب على اسرائيل ، ولم احاربها . بالطبع ، كنت ارد على كل

عدوان اسرائيلي ، سواء كان عدوان ١٩٥٦ ام ١٩٦٧ ام العدوان الاخير في العام ١٩٦٨ .

ومهما يكن ، فان حالة العداء قائمة في الشرق الاوسط منذ ١٩٤٨ . في ذلك الحين ، حدثت هدنة ، لا صلح . وشروط هذه الهدنة ليست بسيطة ، كما ان الاسرائيليين خرقوها بأنفسهم أكثر الاحيان .

اما بالنسبة الى السلام ، فهو بعيد .

ولا يمكن البحث في السلام ، طالما لم يتم العثور على حل عادل .

نحن اليوم نستمر في الصمود ، ونحارب مع ما تبقى لنا . ولكن النتيجة مختلفة تماما ، بفضل اعادة تنظيمنا العسكري .

فمثلا بعد ٩ اشهر على هزيمتنا في حزيران ١٩٦٧ ، وخلال العدوان الاسرائيلي في ٢١ اذار ١٩٦٨ على الشونة والكرامه في الضفة الشرقية للاردن ، استطاع ردنا ان يحول « عملية بوليس » بسيطة الى اشتباك عسكري حقيقي فرضناه على المعتدين الذين لحقت بهم خسائر لم يكونوا يتوقعونها . ومع هذا ، فقد كانت طائراتهم تحمي قوة مهمة من المدرعات والقوات المنقولة بالهليكوبتر والسيارات الحربية .

لقد استخلصنا ، نحن الاردنيين ، دروسا بالنسبة الى النشاط المحدود لقوتنا الجوية ، والى الدعم الجوي الذي يمكننا ان نتلقاه من حلفائنا .

كان احد اخطائنا الاساسية في نزاع حزيران ١٩٦٧ اننا لم ننظم جهاز عملياتنا وفق وسائلنا الخاصة ، من دون الاتكال على أي دعم خارجي . وبدلا من ذلك ، تمسكنا بمبدأ انقاذ المصالح الاستراتيجية العربية ، ووضعنا مصالحنا الخاصة في المرتبة الثانية .

ونتج عن ذلك ان اعتمادنا على تأييد بعض حلفائنا ، الذين لم يحترموا تعهداتهم ، لاسباب عديدة ، دفعنا الى معالجة الامور واتخاذ المبادرات بحسب تطور العمليات الحربية ووفق الوسائل التي كنا نملكها ساعة المعركة .

وتبين ، في اغلب الاحيان ، ان هذه الوسائل كانت ادنى مما توقعناه واقل مما كنا نحتاج اليه للرد على تكتيك العدو .

وبكلمة اخرى ، فرضت علينا اسرائيل طريقتها في القتال بسبب

تناسق استراتيجيتها ، بينما كنا مضطرين للاخذ بعين الاعتبار مصالح حلفائنا . واذكر ، على سبيل المثال ، المناورة التي اعددناها للواء ٤٠ واللواء ٦٠ من سلاح المدرعات . وقد فرض هذه المناورة اولا حرص الفريق رياض على التخفيف عن القوات المصرية في الجنوب التي كان عليها ان تؤمن الاتصال مع قواتنا ، وثانيا تخاذل السوريين ، في الشمال ، الذي حرمنا من دعم ضروري كنا نحسب له حسابا لمواجهة الهجوم الاسرائيلي بجبهة موحدة .

ومجموع هذه العوامل خلق بلبلة شديدة في معسكرنا . »

— هل اعدتم بناء قوتكم العسكرية منذ هزيمة حزيران ١٩٦٧ ؟

« منذ ذلك الحين ، زودنا العراق ببعض الدبابات لتعويض جزء مما خسرناه . ولكننا نصمد حتى الان بما تبقى لنا ، ونزاع حزيران لا يزال ينعكس ، عندنا فقط ، في سلسلة من الاشتباكات المتفاوتة الاهمية . وقد عقدنا مؤخرا مع الاميركيين اتفاقا لاعادة تجهيزنا .

بانتظار ذلك ، نستعين ببعض المعدات من جيراننا ، ولكن ليس بكميات ضخمة . نجحنا في شراء بعض طائرات « هوكر هونتر » . لكننا نحتاج الى بعض الوقت لاعادة تنظيم طيراننا . والواقع ان المشكلة ليست في امكان او عدم امكان شراء الطائرات . اذ اننا نستطيع دائما تأمين المعدات العسكرية . المشكلة ليست هنا . المهم هو تأمين المال لشراء الاسلحة .

ونحن نأمل ، بعد لقاءات عربية جديدة ، ان نجد حلا لهذه المشكلة المادية ، لاننا ، نحن الاردنيين ، نتحمل حاليا الحمل الاثقل والجزء الاكبر من فشل المواجهة في حزيران ١٩٦٧ . »

— على صعيد شخصي اكثر : كيف كانت العلاقة بينكم وبين عائلتكم خلال نزاع حزيران ١٩٦٧ ؟

« — اتصلت هاتفيا بمنزلي ، وبشكل مقتضب ، مرة أو مرتين . بل انني قمت بزيارة منزلي ، في المرتفعات على حدود عمان . كانت تصرفات زوجتي ، الاميرة منى ، تتناسب مع هذه

الظروف . لم تفقد اعصابها ، بل ظلت هادئة جدا وسيدة نفسها وشجاعة وواعية .

وكان ولدانا ، عبدالله (٥ سنوات) وفيصل (٣ سنوات ونصف السنة) يلهوان كثيرا ، وخاصة فيصل الذي له ولع بالطائرات . كان كلما تيسر له « يزمط » الى سطح المنزل ويشاهد الطائرات الهادرة بطريقة تعجبه ، ذلك ان القصف كان قريبا جدا من المنزل . »

(ويعود الملك الى التحدث عن الجيش) :

« كان الوقت بعد ظهر يوم وقف اطلاق النار . نزلت الى وادي الاردن للاطلاع على ما تبقى من قواتنا ، وبصورة خاصة على اللواء ٦٠ من سلاح المدرعات .

منذ بدء الاشتباكات ، لم أفكر ، أو أجد المناسبة ، للاستحمام او تغيير الثياب أو النوم . لم أعد افكر في ذلك . على اي حال كانت تنقلاتي الوحيدة تجري بين مركز العمليات في القيادة العامة في عمان وبين الجبهة . كنت أحيانا ابدأ بأكل السندويش فلا اتمكن من اكماله ، بينما أشرب ليترات من الشاي وادخن السيجارة تلو السيجارة ، الى درجة انني لم أعد أفرق بين سجائر « شسترفيلد » ذات الفلتر ، التي أدخنها عادة ، وبين اي نوع اخر من السجائر يقع بين يدي .

وحين وصلت بعد ظهر ذلك اليوم الى القيادة العامة المتقدمة في الجبهة ، قرب نهر الاردن ، حيث كانوا ينتظرونني ، انتابني شعور مدهش — وانا الذي لم احلق ذقني منذ ايام عدة وثيابي مغطاة بالغبار — حين شاهدت الضباط الذي جاؤوا لاستقبالي بشوشين ، حالقي الذقون ، رغم انهم لم يتوقفوا عن المحاربة في ظروف جهنمية . اعتنوا بمظهرهم لاستقبالي ، رغم كل شيء . شعرت بالانزعاج . واعترف ان نوعا من الخجل قد انتابني بسبب اهمالي . »

— خلال النزاع هل خطر ببالك ، في لحظة ما ، انك تفضل ان تكون مكان أحد رجالك بدل أن تكون حيث أنت ؟

« — نعم ، نعم . والواقع ، ان هذه الفكرة مرت ببالي اغلب الاحيان . كنت اشعر بارتياح شديد حين اخرج من القيادة العامة

المغلقة لاطلع على تطورات الامور مكان وقوعها ومشاهدة ما يجري فعلا . ولا ينسجم مع طبعي ابدا ان اقاسم التجربة التي يمر بها رجالي ، بشكل معنوي فقط . »

الفصل الخامس عشر

بعد الحرب

« تبين لي ان اول ما يلزمنا هو القيام بحملة سياسية تكون افضل من حملتنا العسكرية .. »

« في ما يختص بي ، كانت اقسى مرحلة مررت بها في هذه الدورة الجهنمية هي تلك المرحلة الواقعة بين هزيمة حزيران ومؤتمر القمة العربي الذي عقبها في الخرطوم ، من ٢٩ اب الى اول أيلول ١٩٦٧ . هذه الحقبة المشؤومة قد أضرت كثيرا بصحتي الجسدية وصحتي النفسية . وخرجت منها وأنا في غاية التعب والسأم . لقد كان ذلك كله قاسيا اكثر مما يجب ، ومضنيا اكثر مما يجب .

وحملت تجربتي الجديدة هذه ورحت أطوف بالعالم العربي ، ثم بالعالم كله ، كي احاول شرح حقيقة ما يجري في هذا الجزء من العالم الذي اسمه الشرق الاوسط .

كان علينا ، بمعنى من المعاني ، ان نرد تحديا : تحدي عدم الفهم العالم لحقيقة هذا النزاع الاسرائيلي — العربي .

في مستهل القرن العشرين كان للاسرائيليين هدف محدد : الوصول الى هذه المنطقة والاقامة في فلسطين . وقد نجحوا في التأثير على الرأي العام العالمي وتسييره في اتجاه امانيهم .

اذا نظرنا الى العرب من خارج ، نراهم يعطون الانطباع الاتي : انهم عديمو الشعور بالمسؤولية وكذلك متقلبو المزاج . لكن هذه الطريقة في النظر تغدو طريقة مبهمة ، وخاطئة ، عندما نعالج القضية من داخل ، اي من عندنا . ان ما نبغيه فعلا هو الاسهام في تقدم الحضارة ، وذلك مع استعادة المركز الذي كان لنا في التاريخ بين الامم .

من اجل شرح ذلك كله ذهبت الى الامم المتحدة واجتمعت برؤساء الدول الكبرى .

وقبل ان اذهب الى الامم المتحدة حيث تكلمت يوم ٢٧ حزيران ١٩٦٧ لاعرض قضيتنا بنفسي ، وجاعلا من نفسي محامي القضية العربية ، تبين لي ان اول ما يلزمنا هو القيام بحملة سياسية تكون افضل من حملتنا العسكرية . اذلك كان اصراري شديدا لعقد مؤتمر قمة عربية ، وهي القمة التي لم استطع الحصول على قيامها في وقتها ، فقد تمت في آخر آب فقط ، في الخرطوم ، اي بعد نحو ثلاثة اشهر من هزيمتنا .

وقد قمت كذلك بدورة اجتمعت خلالها بزعماء هذا العالم القادرين على لعب دور في المأساة التي نعيشها نحن العرب .

أول من اجتمعت بهم كان الرئيس جونسون ، رئيس الولايات المتحدة . وقد أظهر لي تفهما ، واهتماما لما أقول ، لكنني لمست لديه بعض المرارة — بل الكثير من المرارة — حيال موقف بعض العرب من الولايات المتحدة ، وبخاصة موقف مصر .

وقد انتقد جونسون ، كذلك ، تصرفات اسرائيل التي كانت قد اكدت له أنها لن تقوم باية مبادرة عسكرية .

كان يرغب بالاسهام ، على قدر ما يقدر ، في ايجاد حل سلمي للمشكلة .

وفي لندن كذلك اظهر لي كل من رئيس الحكومة البريطانية السيد هارولد ولسون ووزير خارجيته السيد جورج براون صداقتهما الشديدة ، وادراكهما العميق للوضع وتطوراته . وقد توصلنا الى تفاهم متبادل ، برغم العداء السافر الذي واجهنا به الراي العام ، العداء لي ، لبلادي وللعرب عامة .

أما في باريس ، فقد وجدت التفهم فورا عند الجنرال ديغول ، وذلك لمعرفته المتعمقة بالقضية ومختلف وجوهها . لقد تأثرت جدا من انشغاله الكبير بنا ومن موقفه الصديق . وأنا ما زلت اذكر كلماته هذه :

« اذا كان لاسرائيل الحق في العيش بسلام وأمن ، فالاردن — بكل تأكيد — يستحق ذلك بالنسبة ذاتها ! » .

أحسستني مطمئنا ومرتاحا وأنا اترك ديغول . وشكرته باسم العالم العربي كله وعبرت له عن الاعجاب الذي نكنه لشخصه .

لقد كان ديغول يعتبر ان على الدول الكبرى ان تساعدنا في ايجاد

الحل العادل ، وان العدوان يجب ان لا يكون رابحا .

في ما بعد ، يوم ٢ تشرين الاول ١٩٦٧ ، سلكت الطريق الى موسكو حيث قابلت الرئيس بودغورني ورئيس وزرائه السيد كوسيغين . وقد كان لي استقبال ودي للغاية . كانت تلك اول زيارة اقوم بها للاتحاد السوفياتي .

وحاولت — بعدما شكرت الروس على التأييد الذي قدموه دائما للعالم العربي — ان ابدد الغيوم السود التي كانت ، في السابق ، قد غشيت العلاقات بين موسكو وعمان .

وقد اظهر الزعماء السوفياتيون معرفة متعمقة بقضيتنا واكدوا لنا تأييدهم .

بعد هذه الجولات في العالم كله اتضحت لي النقطة الاتية بشكل بارز : بالرغم من كل ما حصل منذ ان تحولت القضية الفلسطينية الى فاجعة ، كان الرأي العام مقتنعا بان اسرائيل قد اقامت في هذه المنطقة من العالم لكي تبقى .

كان لا بد من التسليم بالامر الواقع . غير اني لمست كذلك عند الرأي العام الرغبتين القلقتين الاتيتين :

١ ـ الرغبة في مساعدتنا على تحديد موقفنا من وجود اسرائيل والتأكد من ان اقرار السلام لا يعطي اسرائيل في الوقت نفسه الحق باي توسع كان .

٢ ـ والرغبة في محاولة ايجاد سلام عادل ومستمر ، وازالة اثار حرب حزيران ١٩٦٧ . »

(فانس ولوير بسالان) :

— وعبد الناصر كيف تنظر اليه ؟ متى شاهدته للمرة الاولى بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ؟

« — عبد الناصر ؟ اعتبره شريكا وصديقا . بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ بقليل ذهبت أمضي ليلة في القاهرة لاجتمع به قبل ان اتوجه الى الامم المتحدة . كان وديا للغاية . وقبل ذلك ، وخلال ازمة حزيران كلها كان موقف عبد الناصر من الاردن ومني شخصيا قد تغير تماما . لعله اكتشف الحقيقة بشأننا ، ولعل هذا ينطبق أيضا علينا نحن .

خلال كل الاجتماعات التي عقدناها بعد ذلك اظهر عبد الناصر تعقلا كبيرا واعتدالا مقنعا ، وتبين لي ان وجهة نظره مشابهة كثيرا لوجهة نظري .

لقد تطور في الاتجاه الذي تطورنا فيه نحن أيضا : الاقرار بالهزائم ، تحديد مواقع الاخطاء ، ومحاولة اعادة البناء على قواعد اكثر استقرارا وصلاحا . ويجب القول ان مسألة حزيران قد اسفرت بالنسبة اليه عن خسائر ضخمة من جميع النواحي .

لقد اردنا كلانا ان ننسق جهودنا ونتعاون متحدين اتحادا وثيقا في المعركة الدبلوماسية العنيدة ، وان نحاول كذلك ايجاد الاجماع العربي على حل معقول . وهذا ما حدث في ما بعد ، خلال مؤتمر القمة في الخرطوم ، وبعد القمة ، وحتى اليوم .

في الامم المتحدة ، عند اجتماع الجمعية العمومية ، كان ثمة امكان للحصول على قرار افضل من قرار مجلس الامن . وذلك ، مرة اخرى ، بفضل جهود مشتركة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة . لكن هذا الامكان قد اجهض وفشل بسبب ردود فعل بعض العرب المتطرفين.

كنا قد حاولنا بمنتهى الجد ان نعمل مع الاميركيين للوصول الى قرار افضل ، الا ان هؤلاء قالوا لنا اخيرا وبعد تصرفات بعض العرب : « ماذا نقدر ان نعمل ؟ انتم تتصرفون ضدنا في الوقت الذي نحاول ان نساعدكم ! »

واضاف الروس وهم يسألوننا بدورهم : « بربكم قولوا لنا حقيقة ما هو موقفكم انتم العرب ؟ »

لذلك وجب علينا مهما كلف الامر ان نحدد بالضبط « الموقف العربي » . لذلك ذهبت للاجتماع بعبد الناصر مرة اخرى قبل العودة الى اوروبا والولايات المتحدة في اواخر ١٩٦٧ لمواصلة معركتي من اجل السلام .

كان ذلك يوم ٣٠ ايلول ١٩٦٧ ، اي بعد اسابيع على مؤتمر القمة في الخرطوم الذي اعطى المجال للجمهورية العربية المتحدة والاردن كي يتفقا على العمل السياسي الواجب القيام به ، وذلك بتأييد البلدان العربية الاخرى .

مازلت احتفظ بذكرى لن انساها عن تلك الزيارة لعبد الناصر ، او

بالاحرى عن ظروف وصولي الى القاهرة .

كنت قد غادرت عمان في الصباح وفي الساعة الحادية عشرة كنا على بعد مئة كيلومتر من القاهرة . وكالمعتاد كنت انا اقود الطائرة . وطلبت من برج المراقبة في العاصمة المصرية الاذن بالهبوط . فاجابني المسؤول :

ــ المطار مغلق بسبب عاصفة رميلة .

فسألت :

ــ هل يمكننا الهبوط في الاسكندرية ؟

ــ مطار الاسكندرية مغلق ايضا .

ــ وبيروت ؟

ــ الطقس يتدهور في تلك الناحية ايضا .

ــ ما هي الاماكن الاخرى الممكنة للهبوط ؟

ــ قبرص .

ابلغت الذين حولي في غرفة القيادة بما هو حاصل فقال لي احدهم:

ــ من الافضل ان لا نهبط في قبرص . قد يفسرون ذلك بمئة طريقة!

وضحك الجميع .

عندئذ سألت برج المراقبة :

ــ الم تهبط في القاهرة ولا طائرة منذ هذا الصباح ؟

وجاءني الجواب يتركني مصعوقا بكل معنى الكلمة :

ــ لا اعرف شيئا على الاطلاق .

تأكدت من وجود وقود في الخزان ثم قال قائد الطائرة :

ــ بامكاننا ان نصل الى بيروت او قبرص او صور ، لكن لا نقدر ان نعود الى عمان . فمطارها على كل حال مغلق بدوره بسبب رداءة الطقس . فسألته :

ــ هل نقدر ، مع هذا ، الهبوط هنا ؟

فاجابني قائد الطائرة :

ــ بامكاننا ان نحاول لكن مرة واحدة فقط . لا نملك من الوقود ما يكفي لاكثر من محاولة .

كانت مدراجات مطار القاهرة محاطة بتلال من الرمل . وقررت ان اقترب من المدرج على علو الامان الادنى وبدأت الهبوط . وكنا ما نزال

لا نرى شيئا على الاطلاق . عندئذ قررت المجازفة بالهبوط مئتي متر اخرى . وعندها ابصرت بصعوبة جزءا من المدرج فحططت بالطائرة .

وما ان لمست الطائرة الارض حتى غادرناها وهربنا من العاصفة لاجئين الى مباني المطار . وكم كان سرورنا كبيرا بأن ينتهي كل هذا دون اي حادث في مطار مغلق رسميا .

وهكذا تمكنت من الاجتماع بعبد الناصر وقررت معه النقاط الخمس الاتية لتحديد « الموقف العربي » :

١ ــ نقبل الاعتراف بحق كل واحد في العيش بسلام وأمن في هذه المنطقة ، بما في ذلك اسرائيل .

٢ ــ اتفقنا على وضع حد لحالة العداء والحرب .

٣ ــ اتفقنا على فتح الممرات المائية الدولية ، بما فيها قناة السويس ، أمام الجميع .

وذلك مقابل التعامل بالمثل للنقطتين الاوليين وبشرط ما يأتي :

٤ ــ انسحاب الاسرائيليين من كل الاراضي المحتلة منذ حرب حزيران ١٩٦٧ .

٥ ــ ايجاد حل حقيقي لقضية اللاجئين : الحق لهذا الشعب بالعودة الى ارضه او الحصول على تعويض ، وفقا للقرارات الاولى التي اتخذتها الامم المتحدة .

ان عددا من هذه النقاط كان واردا في الحل الروسي الاميركي الذي فشل بسبب ردود فعل بعض العرب المتطرفين في الجزائر ، حيث ذهبت أول ما ذهبت بعد أن تركت عبد الناصر مباشرة. قبلوا ان يتركونا نحاول تحقيق ما عرضناه ، دون تدخل من قبلهم . غير انهم لم يكونوا يؤمنون كثيرا بهذه السياسة .

وبعد هذه الخطوات وتلك الجهود بدأت مهمة السلام التي اسندت الى الدكتور غونار يارنغ بناء على قرار اجماعي اتخذه مجلس الامن في تشرين الثاني ١٩٦٧ .

وعندما رجع الينا القرار مرفقا بالنقاط الخمس التي وضعتها مع عبد الناصر والمذكورة انفا ، كانت ردود الفعل العربية كالاتي :

بعضهم اعتبر اننا لن نتوصل الى اي حل مرض ، ولو ذهبنا الى هذا الحد .

أما الذين ما كانوا يؤمنون بأمكان الوصول الى حل سلمي وعادل فقد قبلوا ، مع هذا ، ان يمنحونا فرصة للمحاولة .

واخيرا قبلنا بقرار مجلس الامن واعربنا عن ارادتنا في تطبيقه بكامله . ولم توضح اسرائيل موقفها . لذلك اخذت مهمة الدكتور يارنغ ، ممثل الامين العام للامم المتحدة ، تتقدم بطريقة بطيئة للغاية . »

(فانس ولوير يسالان) :

— ما دام الحصول على الاجماع العربي أمرا غير سهل ، ما رأيك باحتمال اقامة سلام منفصل بين الاردن واسرائيل لحل المشكلة الفلسطينية ؟

« — لا . ان هذا ليس ممكنا ولا جديا . يجب ان نحل الخلاف بكامله وليس جزئيا .

اننا نريد تنسيق كل شيء . وقد بذلت قصارى جهدي في هذا السبيل .

ان على اسرائيل ان تسهم في حل المشكلة الفلسطينية برمتها ، من اجل ان يكون السلام نهائيا .

والفرصة متاحة الان لتحقيق ذلك . والا فلا جدوى من اي سلام اخر بين الاردن واسرائيل او بين فلسطين واسرائيل .

لقد اظهرنا اننا مستعدون للذهاب بعيدا ، بعيدا جدا لتحقيق ذلك والبدء فعليا برد التحدي من اجل بناء مستقبل افضل لهذه المنطقة المعتبرة ككل لا يتجزأ .

على اسرائيل الان ان تلعب . عليها ، وهي المنتصرة هذه الدورة ، ان تبرهن بأعمالها اذا كانت حقا راغبة في العيش بسلام مع العرب وان تجعل نفسها مقبولة في عالم جاءت تقحم نفسها فيه . »

الفصل السادس عشر

والآن

« حلت اسرائيل في هذا الجزء
من العالم لتبقى فيه »

ان مهمة يارنغ هي الفرصة الاولى والاخيرة لتحقيق السلام بيننا وبين اسرائيل ، سلام يمكن ان يدوم ، وحتى يدوم يجب أن يكون سلاما عادلا . غير ان مهمة مبعوث يوثانت اصطدمت وما تزال بموقف اسرائيل المتصلب .

ان مصير الفرصة المتاحة لتحقيق السلم هو رهن بما يحققه يارنغ من تقدم في مهمته ، فاذا فشل يارنغ يكون معنى ذلك ضياع هذه الفرصة .

نعم ان مهمة مبعوث يوثانت هي أملنا الاخير . فالايام تمر . وبت أخشى أن يرسخ في اذهان العرب اننا لن نبلغ اهدافنا بالحل السلمي .

فاذا لم يتوصل يارنغ الى تسجيل تقدم واضح فان هذا الجزء من العالم قد يجد نفسه ذات يوم في خضم صراع عنيف لا هوادة فيه ، صراع قد تحرز فيه اسرائيل بعض الانتصارات ، لكنه سيكون طويل النفس لا ينتهي بهزيمة الاسرائيليين وحسب ، بل بتقويض دعائم السلم العالمي من جراء هذه الهزيمة .

وهنا سألنا الملك :

— والقدس ، ماذا بشأنها ؟

« — في ما يتعلق بالقدس ليس واردا التنازل عن حقوقنا فيها . مع العلم ان المسألة ليست مسألة حقوقنا وحدها ، فهناك حقوق المسلمين . فقضية المدينة المقدسة لم تعد قضية اردنية فهي اليوم قضية اسلامية ، قضية عربية ومسيحية .

وفي حال عقد معاهدة صلح ، فلن يكون هناك مجال لقيام مشكلة بسبب ممارسة الشعائر الدينية بالنسبة لجميع المؤمنين ، لكننا لن نتنازل مطلقا عن حقوقنا في القدس ، وهي حقوق تعود الى أكثر من ألف عام .

والقدس تشكل بالنسبة لنا قضية دينية . انها المدينة الثانية بعد مكة المكرمة التي يحج اليها المسلمون ، ولعله من المفيد ان نوضح كيف أصبحت القدس من الامكنة الاسلامية المقدسة .

ان جبل « سكوبوس » حيث يقوم مسجد عمر في القدس يطلق عليه بالعربية اسم « جبل المكبّر » ولذلك مبرر تاريخي .

ففي القرن السابع عندما حاصر العرب القدس رضي بطريرك الروم ، وكان قوي الشخصية والشكيمة ، بفتح أبواب المدينة لدخول الفاتحين ، لكنه رفض تسليم المفاتيح الى قائد المهاجمين وقال انه لن يسلمها الا للخليفة نفسه .

وبذلك اضطر عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء ان يترك مكة المكرمة متوجها الى القدس . وقد قام بهذه الرحلة يرافقه احد الخدم ، وبسبب ضيق ذات يده أسرج ناقة واحدة وراح يتناوب امتطاءها هو وخادمه ، وعند بلوغهما القدس كان دور الخادم في امتطاء الناقة ، فسار عمر خلف المطية ماشيا حتى بلغ جبل « سكوبوس » وهناك سجد وهو يردد مرتين : الله اكبر .

ومنذ ذلك الحين اطلق المسلمون على الجبل اسم « جبل المكبّر » ، أي جبل من يقول ان الله أكبر .

لم يكن في مظهر عمر ما يدل على كونه خليفة المسلمين ، فلباسه عادي ، وقد وصل الى الجبل ماشيا وراء خادمه الراكب، فنال منه التعب وبدا وكأنه التابع وكأن الخادم هو المتبوع . لهذا لم يصدق البطريرك انه أمام الخليفة عمر ، وبعد أخذ ورد اقتنع البطريرك وسلم مفاتيح القدس الى الخليفة ورافقه لزيارة المدينة .

وعندما وافى وقت صلاة الظهر عند المسلمين كان عمر والبطريرك يزوران كنيسة القيامة ، فقال الخليفة لرفيقه :

— اتأذن لي باداء فريضة الصلاة في البستان على مسافة قريبة من هذا المكان ؟

فأجاب البطريرك :

— زعمت أننا نحن وانتم نعبد ربا واحدا فلمَ لا تصلي في كنيستنا ؟

— اذا صليت هنا وعرف المسلمون المقيمون في المدينة المكان الذي صليت فيه فأخشى ان يبادروا الى تشييد مسجد على انقاض كنيستكم او

تحويل الكنيسة الى مسجد .

وبعد ١٥٠ سنة بنى المسلمون مسجد عمر في البستان المجاور لكنيسة القيامة ، وفي المكان الذي اختاره الخليفة عمر لاداء فريضة الصلاة .

هذه الوقائع التاريخية تقيم الدليل على التسامح الذي ابداه الاسلام دائما حيال الطوائف الدينية الاخرى . فاذا أصرت اسرائيل على الاحتفاظ بالقدس فان اصرارها سيدفع العرب والمسلمين الى استخدام شتى الوسائل لارغامها على اخلاء المدينة المقدسة .

ولا ننسى ان دولة داود وسليمان السياسية لم تعمر اكثر من ٧٥ عاما ، وان دولة الصليبيين عمرت أقل من قرن .

فيحسن باسرائيل ان تعيد قراءة تاريخها . »

بهذا ينتهي حديث الملك حسين .

تكلم الملك حسين ، كما اتضح من سياق حديثه ، بصفة كونه سيد مقدرات بلاده . ومع هذا لا يسعه الا ان يحسب حساب مختلف النزعات السائدة في محيطه والتي تعكس غالبا رأي الشعب الاردني .

لهذا كان من المفيد معرفة ما يقوله في القضية الفلسطينية فريق من الرجال يحترم اراءهم الاردنيون . واننا نخص بالذكر وصفي التل رئيس الحكومة السابق واحد مناوئي عبد الناصر ، ويحيى حموده الذي خلف احمد الشقيري على رأس منظمة التحرير الفلسطينية ، وهي المنظمة السياسية التي تضم عددا كبيرا من العرب المتطرفين ، المصممين على متابعة النضال حتى القضاء على الغاصب : اسرائيل .

فضلا عن الفدائيين الفلسطينيين ، وهم جماعة مقاتلة من اللاجئين وضعت نصب عينيها استرداد الوطن السليب .

الفصل السابع عشر

وصفي التل

« هذه الحرب التي نشبت قبل الاوان
كان بالامكان تجنبها بسهولة »

« بعد استقالتي في تشرين الثاني ١٩٦٦ نشأ تيار سياسي في الاردن يقول مع الاسف بالتقرب من عبد الناصر . واقصد بالتيار خليطا من كل شيء : بطانة الملك الجديدة ، ضغط محترفي السياسة ، انفعالات الرأي العام ، ولا انسى المناورات التي قامت بها الولايات المتحدة الاميركية .

لم اكن مرتاحا الى تطور الامور على هذا الشكل لاني كنت أتوقع حدوث ما حدث ، وما توانيت لحظة واحدة في تحذير اصحاب العلاقة ، ولكنهم أصموا آذانهم عن سماعي .

كان رأيي اننا غير مستعدين للحرب . وكنا قد قررنا تعزيز دفاعنا لحماية خطوط الهدنة ، وتفادي كل ما من شأنه اعطاء اسرائيل مبررا لاستدراجنا قبل الاوان الى نزاع مسلح . وعملا بهذا المخطط أمسكنا عن الاخذ بثأر « السموع » ، وحاولنا منع الفدائيين من القيام بأي نشاط على خطوط الهدنة ، كل ذلك بانتظار استكمال استعداداتنا لاسترداد حقوقنا سواء بالوسائل العسكرية والاقتصادية والسياسية .

كان هذا نهجنا السياسي في الاردن ، بالاتفاق مع سائر الدول العربية : كنا جميعنا حريصين على تفادي كل ما يمكن ان يشكل مبررا تتذرع به اسرائيل لشن نزاع في وقت غير ملائم لنا . لذلك كانت سياستنا المشتركة ، او المفترض ان تكون مشتركة ، بعد مؤتمر القمة الاول ، قائمة على الامتناع عن تشجيع نشاط الفدائيين .

لقد كان بوسعنا ان نتفادى هذه الحرب التي سبقت اوانها ، وربما لم يكن احد يتوقع هزيمة من هذا العيار ، غير ان المعلومات التي كانت متوافرة لدينا لم تكن تفسح لنا في مجال التفاؤل بامكان خروجنا منتصرين .

عمد عبد الناصر الى اظهار عكس ما يضمر ، وفي نيته ان يذهب في لعبته الى أبعد الحدود ، غير انه لم يكن راغبا في الحرب . وفي رأيي ان الرجل بالغ في تقدير مهارته السياسية .

أما السوريون فقد كان السائد في اذهانهم انهم في حرز حريز وان الاردن (الذي لا يحبونه) ومصر (التي لم يكونوا معها على وفاق تام) هما اللذان سيدفعان الثمن . والواقع ان السوريين ما ارادوا قط مقاتلة الاسرائيليين .

كان هناك خطة دفاعية عربية مشتركة ، ولكنها كانت خطة نظرية ليس الا . وحتى اثناء حرب حزيران لم توضع هذه الخطة موضع التنفيذ، لانه ما من عربي كان يتوقع نشوب نزاع ، على الرغم من ظهور بوادر تنبىء بامكان نشوبه .

منذ ١٩٥٦ انشئت قيادة موحدة بين سوريا ومصر والسعودية والاردن . وكان على رأس هذه القيادة المشير عبد الحكيم عامر الذي قيل انه انتحر على أثر هزيمة حزيران ١٩٦٧ . وكان سليمان النابلسي يرئس وقتئذ حكومة موالية لناصر جميع اعضائها من الاشتراكيين والبعثيين والشيوعيين . وعندما هوجمت مصر رفض هؤلاء دخول الحرب ، مع ان عبد الناصر كان ينتظر منهم العكس . وبدل ان يهبوا لنجدة مصر غرقوا — كما فعل السوريون — في مناقشات لا نهاية لها حول الموقف الذي ينبغي اتخاذه . وفي هذه الاثناء كانت الهزيمة قد أحاقت بالجيش المصري .

وانقاذا للمظاهر ابرق عبد الناصر الى الملك حسين (الذي حاول غير مرة اقناع حكومته بالاسراع في اتخاذ موقف محدد) يطلب منه الامتناع عن التدخل ، لان لا فائدة من القيام بأية خطوة بعد التدخل الفرنسي — البريطاني .

نحن الاردنيين ننظر الى القضية الفلسطينية نظرة جدية لانها تعنينا اكثر مما تعني المصريين والسوريين والعراقيين واي بلد عربي اخر ، لهذا يمكن اي كان ان يستغل هذا الواقع ليجعل منا كبش المحرقة . اما ما حدانا عام ١٩٦٧ على الانضمام الى الاخرين في حرب حزيران فلم يكن الخوف من نقمة الراي العام ولا الرغبة في اخذ نصيبنا من الاسلاب ، انما كان حرصنا على تشريف توقيعنا والقيام بما التزمنا به

في ميثاق الدفاع المشترك .

وجدير بالذكر ان الاردن كان منذ مدة طويلة قد نظم دفاعه بالوسائل المتوافرة لديه . ففي الحالات العادية كانت لدى قواتنا المرابطة على طول خط الهدنة تعليمات دائمة تقضي بمنع تسلل العناصر المعادية ، من غير ان يعود القادة المحليون الى المراجع العليا او ينتظروا توجيهات رؤسائهم . ولا شك في اننا لو اعتمدنا نظامنا الدفاعي المألوف بدل ان نترك امر التقرير للقائد المصري عبد المنعم رياض ، منتظرين انتهاءه من اختيار هذا التكتيك او ذاك ، لجاءت عملياتنا وردودنا على العدو اجدى واكثر فعالية .

لقد ارتكب عبد المنعم رياض غلطتين كبيرتين :

الغلطة الاولى تصديقه ما كانت تردده القاهرة : « سحقنا طيران العدو وبدأنا نجتاز الحدود الاسرائيلية » . ولم يكن لدينا ضابط ارتباط في مصر يوافينا بالخبر اليقين . لهذا كنا تحت رحمة الاخبار التي تذيعها وسائل الاعلام المصرية .

يوم الاثنين ٥ حزيران وهو اول يوم من ايام الحرب ، ظل رياض جاهلا حقيقة ما حل بالسلاح الجوي المصري حتى المساء اذ وصلت برقية ونحن محيطون بالفريق تعترف بما حصل .

ورياض هو الذي نقل اللواءين المدرعين ٤٠ و٦٠ من مواقعهما على الرغم من معارضة جميع من يعنيهم امر هذه التحركات .

فكانت تلك غلطته الثانية .

وحتى لو كانت الاخبار التي زفت بشرى تدمير سلاح الجو الاسرائيلي صحيحة ، فصحتها لا تبرر اقدام عبد المنعم رياض على نقل اللواءين المدرعين من المواقع التي كانا يحتلانها ، لانه لم يكن لهذا التدبير اي مبرر استراتيجي. يضاف الى هذا ان الدبابات الاردنية التي كانت تجهل انها لا تستطيع الاعتماد على غطاء جوي يساندها انطلقت نحو المواقع الجديدة لها تنفيذا للاوامر الصادرة . فكان ان وجدت نفسها هدفا سهل المنال لصواريخ اعداد كبيرة من طائرات العدو ، وهي الظاهرة التي حملتنا على الاعتقاد بحصول تدخل انكلو ـ اميركي (انا لم اكن مقتنعا بحصول هذا التدخل) .

من هذه الكارثة استخرجنا ما يستوجب الرضى والفخار : كان

ضباطنا يعترضون على أوامر الفريق عبد المنعم رياض ، بالرغم من ادراكهم انهم ملزمون بتنفيذها على علاتها .

وقد كان رياض محاطا بأربعة او خمسة ضباط مصريين كبار يؤلفون اركان حربه ، وكان المصريون في المقر العام يقبضون على الزمام ويتحكمون بالمواقف والمقررات ، مع العلم ان الاصول المتعارف عليها لا تسمح باطالة الاخذ والرد وعرض المقترحات والمقترحات المضادة داخل مقر قيادة العمليات . الا ان هذا لم يمنع اللواء الاردني عارف المجالي (توفي بعد الحرب) ، معاون الفريق رياض من انتقاد بعض المقررات التي اتخذها رئيسه ، غير ان هذا ذهب في التمسك بقراراته الى حد العناد .

وهكذا كانت الحال في مراكز قيادات الفرق والالوية المشتبكة مع العدو على الضفة الغربية ، اذ كان معظم اوامر رياض يثير اعتراض ضباط الوحدات المذكورة ، فيبادرون الى الاتصال بعاطف المجالي لاقناعه بخطل راي الفريق المصري ومطالبته بأن يدافع عن وجهة نظرهم أمام الفريق . ودائما كان رياض يتشبث برأيه وينتهي الامر برضوخ الضباط وتنفيذهم الاوامر الصادرة .

عبد المنعم رياض رجل ذكي ، يضج بالحيوية ، ما في ذلك من ريب ، لكنه بدا لي في الظروف العصيبة دون المستوى المطلوب وذلك بالرغم من هالة الوقار التي أحاط بها نفسه ليدخل في روع الاخرين انه يعرف اكثر مما يبدو انه يعرف . مع ان الرجل من خريجي الاكاديمية العسكرية البريطانية وقد امضى سنوات في التخصص في الكليات العسكرية في اميركا وروسيا وحتى في فرنسا ، وهو رئيس اركان القيادة العربية الموحدة منذ ١٩٦٤ . لهذا كان مفروضا فيه ان يعرف الجيش الذي دعي الى تولي قيادته ، وان يعرف الارض التي سيناور عليها ، وقد زار الاردن مرارا لهذا الغرض .

أمام اسرائيل فرصة اخيرة للانسحاب الى خط الهدنة السابق بينها وبين الاردن . فاذا لم تفعل ذلك الان ، فحالة الحرب السائدة ستستمر ، ويتضاعف اوتوماتيكيا نشاط الفدائيين ، فيضطر الاسرائيليون الى الرد كما ردوا في الشونه والكرامه في ٢١ اذار ١٩٦٨ ، ويضطرون كذلك الى الاستمرار في حمل السلاح الى ما لا نهاية .

واذا استمرت الاعتداءات الاسرائيلية على الاردن ، فينتهي الامر بالعرب الى الاتفاق فيما بينهم على وجوب مساعدة الاردن ودعمه بالغطاء الجوي الذي لا غنى عنه .

فاذا سرنا على هذا المنوال فالوقت سيكون حليفنا لا حليف اسرائيل، اذ يركز جميع العرب جهودهم على دعم الاردن باعتباره رقبة جسر المقاومة العربية .

لا يمكن ان ينفرد الاردن بالدخول في مفاوضات صلح ، وهذا الموقف هو وليد الاقتناع ومستوحى من المبادىء التي نؤمن بها .

الفدائيون يشكلون ظاهرة عفوية طبيعية جدا . ولا ينال حضن المصريين او السوريين لهم من رغبتهم الاكيدة في ان تكون لهم هويتهم القوميـــة .

في حال انسحاب الاسرائيليين الى خط الهدنة الذي كان قائما قبل حرب حزيران ١٩٦٧ فمفاوضات الصلح يجب ان ترتكز على اساس تنفيذ قرار التقسيم الذي اتخذته الامم المتحدة عام ١٩٤٧ » .

الفصل الثامن عشر

يحيى حموده

« الصهيونية غرسة امبريالية استعمارية ... »

« نحن نعلم أن الغرب لن يكون أبدا الى جانبنا . وان القضية الصهيونية هي قضية سياسية ، وان الحركة الصهيونية جرى تركيزها في قلب العالم العربي ، ونشاطاتها تجد من يشجعها لاغراض أمبريالية . من هنا ، بدأ كل شيء ...

أن الصهيونية غرسة أمبريالية ، استعمارية ، والغرب يهمه استثمار نفطنا . أنا أتكلم عن حكومات الغرب لا عن الشعوب ، ذلك أن مجموع الشعوب ليس مسؤولا عن هذا الوضع . نحن ضحايا محترفي السياسة ورجال الاعمال . وقضيتنا ، من ثم ، هي قضية التحرير . علينا أن نحرر أرضنا ـــ من الاستعمار ! كما فعلـت الجزائر . الا أن الاستعمار ، في ما يتعلق بنا ، يتحجب خلف حجج يهودية مبنية عـــلى مزاعم تاريخية وروحية ، وهذه الحجج والمزاعم اتخذ منها الاستعمار مبـــررا .

لقد بدأ العدوان على أرضنا العام ١٩١٧ مع اعلان وعد بلفور . وفي ١٩١٧ ، كانت فلسطين تضم ٧٥٠ الف نسمة من بينها ٥٠ الف يهودي فقط ، وأما الاخرون فمسلمون ومسيحيون الا انهم جميعا كانوا عربا . والاقلية اليهودية كانت تعيش مطمئنة وعلى الاخص في القدس . انما في معظم المدن الفلسطينية كانت هناك أحياء يهودية ، وكذلك كان هناك عدد ضئيل من المستعمرات اليهودية الصغيرة تشغل اقل من نصـــف بالمئة من المساحة الكاملة للبلاد .

وانطلقت المعركة في ١٩١٧ في وجه السلطة المنتدبة — بريطانيا — واستمرت قائمة على مدى السنوات ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٦ حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . لقد كنا نحتج على انشاء وطن قومي صهيوني فوق أرضنا . وفي تلك الحقبة لم يكن الحديث يدور الا حول « ملجأ روحي » لليهود الذين اضطهدوا خـــلال الحرب

العالمية الثانية في أوروبا .

ونمت المقاومة المسلحة في ظل الانتداب ، وكانت بريطانيا اذ ذاك واحدة من اقوى الامبراطوريات في العالم . وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧، عندما وافقت الامم المتحدة على تقسيم فلسطين — وفقا للتقرير الرسمي الذي قدمه الانتداب الى الجمعية العمومية — كان القسم الذي اعطي لليهود يشتمل على عشرة بالمئة فقط من الاراضي التي يملكونها .

ويذكر التقرير الآنف الذكر ، ان في هذه الاراضي ٤٩٨ الف يهودي و ٤٩٧ الف عربي ، وهي ارقام اعلن عنها عشية التصويت على قرار التقسيم ، وهي أرقام لااوافق على صحتها ، لان اكثرية الالف يهودي انما اخترعت لخدمة الصهيونيين .

وهكذا اقيمت دولة اسرائيل على اسس مزورة لتصبح ما صارت اليه في ايامنا : لقد حلت في أرضنا ، في مدارسنا ، ومدننا وجثمت على قبور اجدادنا وعلى صدر وطننا . انه النهب والسلب بعينه متحديا المناقبية والاخــلاق .

اما ما نحاول نحن تحقيقه فهو اعادة بناء الوطن الذي ترك لمصيره تحت ضغط التهويل والتخويف ، والعنف والاجراءات البربرية .

نحن العرب لا نحب القتال لاننا لسنا محاربين . كل ما نصبو اليه ان نعيش بسلام داخل وطننا . ولكن هناك من ينكر علينا هذا الحق ، ففي كانون الاول ١٩٦٧ كتب بن غوريون الى الجنرال ديغول : « أن ارض اجدادنا هي التي تعاقب عليها الغزاة ... » فاذا والى اليهود التذرع بمثل هذه الحجج لتبرير اغتصابهم فلسطين ، فلا يبقى الا أن يعاد النظر في خريطة العالم .

يهمنا أن تعلم شعوب الغرب اننا لا نقاتل حبا بالقتال . فالحافز طبيعي وواضح ، وينبغي للغرب أن يفهمنا .

أن اسرائيل تضم اليوم سكانا من مختلف القوميات اجتمعوا فيها تحت راية الدين . ومجرد اخراجهم من البلدان التي كانوا من رعاياها لتوطينهم في بلادنا نحن هو وليد ادعاءات شبيهة بادعاءات النازيين الذين كانوا دعوا الى طرد اليهود من اوروبا لانهم من الاجناس المنحطة . وهو ادعاء يكذبه العلم .

لماذا يطلبون منا ، لاسباب لا علاقة لنا بها ، ان نتحمل قيام هذه

الدولة اليهودية المزعومة التي لا يجهل احد مدى اضطهادهــا للعرب وتنكيلها بهم ؟ مـن الامثلة على ذلـك أن الفتيان العرب العائشين في اسرائيل محرومون حق الانتساب الى المدارس الثانوية ، ولا يحق لهم الانتقال من مكان الى آخر داخل البلاد ما لم يكن لديهم ترخيص بذلك .

أن الاسرائيليين يتصرفون كما كان يتصرف الفاشست .

نحن لسنا عنصريين ولا متعصبين . بل نحن متسامحون جــدا خصوصا حيال اليهود . فاليهود الذين اضطهدتهم اسبانيا وجدوا ملجأ امينا في البلاد العربية . نحن ضد الحركة الصهيونية التي تريد أن تبسط سيطرتها على وطننا ، وضد اسرائيل لانها اداة بيد الامبريالية والاستعمار الاميركي الذي يريد الاستيلاء على نفطنا .

ليس لاميركا شيء من مقومات الامم . انها عصابة كبيرة ، تذكرنا بعصابة آل كابوني . والاميركيون لا يتعرفون على المناقبية ، لانهم خليط من قوميات شتى كالاسرائيليين تماما ... انهم يؤلفون عصابة كبيرة منظمة ومسلحــة .

لهذا نحن مصممون على مواصلة النضال الى أن نسترد أرضنا وذلك بالرغم من القوة التي يلوحون بها في وجهنا . ولسنا نطمع باقناع بعض الامم الغربية بتقديم العون لنا انما نود أن تدرك امم الغرب اننا ضحية العدوان . وقد اكتفى ديغول بالقــول ان الاسرائيليين كانــوا البادئين بالعدوان .

يجب تصفية اسرائيل كدولــة أمبريالية ، كما يجــب أن يعود اللاجئون العرب الى ديارهم ، شرط زوال الدولة اليهودية .

أما اليهود المقيمون في فلسطين فنترك لهم حرية البقاء اذا ارادوا ان يكونوا مواطنين . فنحن لا نريد أن نبيد احدا ، لكننا نرفض التقسيم كما نرفض قيام دولة يهودية في فلسطين المستعادة ، ولن نسلم باية حركة انفصالية ولا بالحركة الصهيونية .

اننا نوافق على بقائهم في فلسطين ، مدفوعين بعوامــل محض انسانية ، وليس واردا في حسابنا ان نعترف بحقهم في اقامة وطن على ارضنا ، ومن تحصيل الحاصل القول اننا لن نحملهم وزر ما اقترفه زعماؤهم من اخطاء وجرائم . ومن شاء منهم العود الى وطنه الاصلي فلن يعترضه معترض ، حتى اذا كان الوطن الاصلي بلدا عربيا » .

— متى انضممتم الى منظمة التحرير الفلسطينية ؟
« — انضممت اليها عند نشوب حرب حزيران ١٩٦٧ . اما اشتراكي في الكفاح من اجل بلادي فقد بدأ وانا بعد على مقاعد الدراسة . »

— هل قاتلتم في صفوف الفدائيين ؟
« — لا ، كنت اكافح وانا طالب بالاشتراك في التظاهرات وفي الدعوة الى اتخاذ المواقف السلبية من كل نوع . ثم عملت في سبيل وطني وانا امارس مهنتي كمحام . وقد درست الحقوق في معهد القدس الذي انشأه الانكليز كفرع من جامعة لندن ، وبعد تخرجي سافرت الى اوروبا وزرت معظم بلدانها ما عدا فرنسا بسبب حرب الجزائر .. ثم قمت برحلة الى الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية ، وكان ذلك عام ١٩٥٧ .
وانا الان على رأس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، وثمة من يرشحني لرئاسة المنظمة وهو المركز الذي كان يشغله احمد الشقيري . وانتخاب الرئيس يعود الى المجلس الوطني الذي هو قيد التشكيل ، مع العلم ان المجلس السابق قد حل .
وسيتألف المجلس الوطني من مئة مندوب تنتخبهم المنظمات الفلسطينية كمنظمة « فتح » وسواها . اما المجلس السابق فقد كان مؤلفا من اربعمئة عضو جميعهم معينون ، مما يجعل صفته التمثيلية موضع اخذ ورد ويحد من فعاليته .
وقد اوردت لكم اسم « فتح » لانها واحدة من اهم المنظمات الفلسطينية القائمة . وثمة حركة او منظمة ذات شأن كبير هي « الجبهة الشعبية » ، انها تشكل الجناح العسكري من « حركة القوميين العرب » التي يرئسها جورج حبش ، وهو عربي مسيحي اصله من اللد . »

وحاولنا ان نقف من حموده على مزيد من المعلومات عن « فتح » وامكنة تجمعها واسماء البارزين من قادتها ، فقال انه لا يستطيع ان يرضي فضولنا واضاف :
— ارجو الا تأتيا على ذكري في معرض ما ستكتبانه عن « فتح » التي اعتقد أن زعماءها هم الان بين القاهرة ودمشق . ويهمني أن تعلما أن المنظمة التي ارئس لجنتها التنفيذية قد وضعت نصب عينيها تحرير

فلسطين وتوحيد جميع المنظمات العاملة في هذا السبيل » .

— ما طبيعة العلاقات حاليا بين منظمتكم والاردن ؟
« — كان ثمة خلاف حاد حول الجزء الذي ضمه الاردن اليه من فلسطين ، لان هذه الخطوة تتعارض واهداف حركتنا التحريرية ، مع العلم اننا ما طالبنا قط بأن تكون لنا سيطرة على جزء ما من وطننا ، فالذي يهمنا في الوقت الحاضر هو تحرير هذا الوطن .
« وجدير بالذكر ان حكومة عمان لم تعترض رسميا على وجودنا على الاراضي الاردنية . ويمكن القول ان الخلافات التي قامت بين الدول العربية قد تركت انعكاسات على منظمتنا نفسها ، لهذا لم يكن لنا مكتب في عمان ، وقد فتحنا اخيرا اول مكتب لنا فيها . اما مقر المنظمة العام فقد نص دستورنا على ان يكون في القدس ، وبسبب احتلال الاسرائيليين للمدينة المقدسة في حرب حزيران نقلنا المقر العام موقتا الى القاهرة » .

— والشقيري ماذا عن مصيره ؟
« — كلما حصل انه طلب من الشقيري ان يتخلى عن مركزه ، وقد خلفته في هذا المركز . »

— ما رايكم في تصرفات الشقيري حيال الاردن والملك حسين ، وفي تصريحه الشهير : « يجب تحرير عمان قبل التفكير باحتلال تل ابيب » ؟
« — لم نستسغ لهجة الشقيري ولا الاسلوب الذي اعتمده . ومع هذا لا بد من الاعتراف بأن الرجل كان يعبر احيانا عما يجول في خواطر الكثيرين من اخواننا ، مثال ذلك حملاته على سياسة الحكومة الاردنية التي كانت تتعارض ، في بعض اتجاهاتها ، مع سياستنا ومطامحنا . »

— ماذا ينتظر الجزء الذي ضمه الاردن من فلسطين اذا تم لكم تحرير بلادكم ؟
« — مصير هذا الجزء يقرره الشعب الفلسطيني نفسه ، فما من دولة تملك حق التقرير نيابة عنه . بالطبع هذه الفكرة تجرح شعور الوحدة القائمة بين ضفتي نهر الاردن ، أما نحن فمطمحنا هو تحرير فلسطين كلها ثم ترك الشعب يقرر ، حتى ولو لمسنا انه يميل الى توسيع نطاق الوحدة مع الاردن . »

— في هذه الحال أي نظام من انظمة الحكم سيكون للامة الجديدة ؟

« — الملكية او الجمهورية ؟ الاختيار يعود الى الشعب ، فنحن لسنا اعداء النظام الدستوري ، مع العلم انه تجب اعادة النظر في محتوى الدستور المعمول به . ومهما يكن فنحن تواقون الى العيش في ظل نظام حر .

« اما الاردن فليست لنا رغبة في الانفصال عنه ، فالوحدة بينه وبين فلسطين مسألة جوهرية ، بل اساسية . في الوقت الحاضر تدل احصاءات وكالة الغوث على ان ٧٥ بالمئة من سكان الاردن هم فلسطينيون ، وان ٥٠ بالمئة فقط من هؤلاء ممثلون في المجلس الاردني ، اما اعضاء مجلس الاعيان فالملك هو الذي يعينهم .

« على كل حال ليس هذا وقت اثارة هذا الموضوع فوقت اثارته لم يحن بعد .

« ان الطريق الوحيد الباقي أمامنا هو طريق الكفاح المسلح ، وهذا الكفاح يجب ان نقوده بمعزل عن المصالح السياسية العائدة للدول العربية .

« تجب تصفية الامبريالية هنا وفي فيتنام واميركا الجنوبية وفي أوروبا نفسها ، لان الامبريالية ماضية في تحقيق حلم هتلر في السيطرة على العالم .

« انا رجل متفائل ... واننا لمنتصرون على الامبريالية »

الفصل التاسع عشر

الفدائيون

« استرجاع فلسطين من اسرائيل »

في اواخر اذار ١٩٦٨ حصلت في الاردن انتفاضة مفاجئة اخرجته من حالة الاغماء التي لم تزايله طيلة العشرة الاشهر التي انقضت على حرب حزيران .

فصباح الخميس ٢١ آذار كان حديث الحرب على كل شفة ولسان في الاردن من اقصاه الى اقصاه :

— بدأت حرب جديدة

— انهم يهاجموننا في الجنوب

لكن الاعصاب ظلت هادئة : لا الذعر ساد ولا الفوضى . بل شعر الجميع بما يشبه الارتياح ، وان كابوسا بدأ ينزاح ...

ولم يكن من اثر للاستسلام لما يخبئه القدر ، بل بدا الناس وكأنهم مبتهجون بما حدث ... لم يساورهم الخوف لحظة واحدة انما غمرهم شعور بالارتياح غريب . كان من في عمان يقولون مبتسمين :

— لقد ايقظ الاسرائيليون ميتا .

صباح ذلك اليوم قال خادم في فندق انتركونتيننتال وهو يضحك لنزيل أميركي :

— ماذا يريد موشي دايان ؟ اذا ثابر على هذا النمط فسيحتل واشنطن ... فكن على حذر يا سيد جونسون !

فهل يتوصل الاردنيون الى محو العار الذي الحقته بهم احداث حزيران ١٩٦٧ ؟

فالاردني يعي اكثر من أي عربي آخر القضية التي يواجهها يوميا ، لان الاردن يعايش الحرب باستمرار منذ عشرين عاما ، وكل واحد من ابنائه يحس كل لحظة ان الامر يعنيه شخصيا ومباشرة . ويندر ان تلتقي اردنيا ليس له قريب او صديق على الضفة الاخرى من النهر ، داخل المنطقة المحتلة . وهو واقع لا يعيشه أي بلد عربي آخر .

فجر ٢١ آذار ١٩٦٨ شن الاسرائيليون هجوما باتجاه نقاط ثلاث هي : شمال البحر الميت ، الشونه والكرامه ، وغور صافي في الجنوب .

وقد اعتبرت القيادة العسكرية الاردنية الهجوم على غور صافي مناورة تستهدف تحويل الانظار عن العمليات الاساسية .

هـــذا ممكـــن ...

وفي الواقع وجه الاسرائيليون معظم قواتهم شمالا نحو الشونه والكرامه ، وزعمت تل ابيب ، تبريرا للعدوان ، انها تقوم بحملة بوليسية تستهدف قواعد « الارهابيين » الفلسطينيين ، وقد استهدفت الحملة بالدرجة الاولى مدينة الكرامه التي يقطنها ٢٥ الف لاجىء فلسطيني .

وردت عمـــان مزاعم تل ابيب :

ــ حملة بوليسية ؟ يا لها كذبة مفضوحة ! انها محاولة صهيونية جديدة للتوسع واحتلال نقـــاط استراتيجية تسهل لاسرائيـــل التوغل شمالي البـــلاد .

ربما كان الامر كذلك .

ودار همس حول نيات المهاجمين ... فقيل في جملة ما قيل ، أن اسرائيل تنوي اجتياح الاردن من الشمال والجنوب وعزله عن جيرانه العرب ، ومتى تم ذلك لتل ابيب لم يبق أمام عمان من مخرج سوى الدخول في مفاوضات مع المنتصرين .

ربما كانت هذه غاية اسرائيل .

وقيل همسا كذلك ان الاسرائيليين متى تم لهم تحقيق اغراضهم ، سيخلعون الملك ويؤلفون حكومة موقتة موالية لهم .

هـــذا ممكـــن ...

وكل هذه الافتراضات والتكهنات لم يكن في الوقائع نفسها ما يسمح بتأكيدها او نفيهـــا .

والواقع الوحيد الذي لا يقبل الجدل هو القوات الضخمة التي استخدمتها اسرائيل في « العملية البوليسية التأديبية » .

وبدا واضحا في ذلك اليوم من اذار ١٩٦٨ ، في ضوء ضراوة الرد الاردني وجدواه . أن الاردن عندما يتصرف منفردا وبحرية ، يشكل خصما لا يستهان به .

ففي ٢١ اذار ١٩٦٨ لم يرد ذكر القيادة العربية الموحدة ، ولا الدعم

الجوي الحليف . ولم يكن في عمان قادة عسكريون غير اردنيين يصدرون اوامر قابلة للاخذ والرد وحتى الرفض كما حدث في حزيران ١٩٦٧ .

ففي ذلك اليوم انبرى الجيش الاردني الذي دفع ثمن ثقته بحلفائه ، يعمل وحده بعد أن اعيد تنظيمه على هذا الاساس ، ووضعت قيادته خطة دفاعية مستوحاة من غياب السلاح الجوي .

لقد ادرك القادة العسكريون الاردنيون ان افضل استراتيجيـــة يمكنهم اعتمادها هي الاستراتيجية الدفاعية . أما تكتيكهم فيقوم على استدراج العدو الى القتال على الارض الاردنية ، من غير أن يستدرجوا انفسهم الى القيام بهجمات مضادة من شأن التحركات التي تستطلبها ابراز تفوق الاسرائيليين في هذا المجال .

صباح ذلك اليوم من اذار ١٩٦٨ لم يفاجىء الهجوم الاسرائيلي الدفاع الاردني ، فالفريق الذي فوجىء هو الفريق المعتدي الذي لم يكن يتوقع بالطبع ان يستقبله الاردنيون بنثر الزهور على قواته المهاجمة ، لهذا رأيناه يستخدم وسائل ضخمة في « الحملة البوليسية التأديبية » : دبابات ، قوات منقولة جوا بالهليكوبتر ، غطاء جوي كثيف الـــخ .. فالقادة العسكريون الاسرائيليون يعرفون كيف يفيدون من الحظ ، لكنهم يكرهون أن يروا المقادير دورها في النتائج التي يتوصلون اليها .

غير أن القادة العسكريين الاسرائيليين لم يقدروا صباح ٢١ آذار ١٩٦٨ العامل النفساني قدره ... أي انهم لم يتوقعوا هذا الاستبسال من جانب من يدافع عن أرض فصلت عن ارض الوطن ، واسقطوا من حسابهم عناد المهدد بحياته وممتلكاته في الذود عن حياته وعما يملك ، وهو عناد يبلغ بطاقة المعتدى عليه الدفاعية حدها الاقصى .

لهذا رأينا الدبابات الاردنية كما رأينا وحدات المشاة والمدفعية فجر ذلك اليوم من آذار ، تكيل للعدو الصاع صاعين لمنعه من بلوغ اهدافه .

ففي الشونه الواقعة على عشرين كيلومترا الى الشمال الشرقي من البحر الميت ، اضطرت دبابات « باتون » الاسرائيلية للعدول عن اقتحام المواقع الاردنية ، ونكصت علـــى اعقابها عناصر الاستكشاف المجهز ، بمصفحات خفيفة ، وذلك بعد اشتباكات عنيفة بل بالغة العنف .

الا ان هذا لم يمنع المعتدين من قصف الشونه وتدميرها ، وقد تمكن الدفاع الاردني من جهته من احباط الهجوم الاسرائيلي وعطب عدد من

الدبابات الثقيلة والمركبات المختلفة الاحجام .

ليس من السهل اعطاء صورة حقيقية عن حصيلة المعركة ، فبلاغات الفريقين لا يمكن الركون اليها ، شأنها شأن البلاغات التي تصدر في كل نزاع مسلح . وقد رأينا نحن بام العين عند زيارتنا الشونه ثلاث دبابات باتون م. ٤٨ وسيارتين مصفحتين محطمة شر تحطيم ، وفي الطريق من عمان الى الشونه التقينا جرارات تجر مركبات تصعب معرفة هويتها لفرط ما نالها من ضربات بدلت معالمها .

وقد زار الملك حسين الشونه في اليوم التالي . وكان داخل احدى الدبابات الاسرائيلية التي خلفها العدو وراءه جثة قائدها الاسرائيلي ، وقد شوهتها النيران . ولما صعد الملك الى الدبابة اراه جندي اردني جثة الاسرائيلي فاشاح الحسين بوجهه وكان قد احاط به عدد من الضباط والجنود ، فما كان من احد هؤلاء الا ان بصق على الجثة المشوهة ، فسمر الملك عينيه السوداوين في عيني الجندي وقال له ، دون ان يرفع صوته :

— لا تفعل هذا !

فخفض الجندي بصره وتغلغل بين الجماهير المحتشدة .

نقلت غنائم المعركة الى عمان حيث عرضت ليشاهدها الجمهور طول اسبوع كامل في ساحة فيلادلفيا الواسعة ،وكانت السيارات تقل الناس من المدن المجاورة لتتفرج على « الجثث الفولاذية » المعروضة . والعديد من الاردنيين اموا عمان سيرا على الاقدام للغرض نفسه . وكان معظمهم لا يكتفي بالمشاهدة ، بل يمر بيده على الاعتدة الاسرائيلية ، وكأنه يريد ان يتثبت مما يرى بام العين ، وان الاردن لم يخسر هذه المرة ، بل كان من الرابحين ، وان المحاولة الاسرائيلية باءت بالفشل .

وشعر الاردنيون انهم قادرون على حماية انفسهم والذود عن بلادهم ودحر اعدائهم من غير مساعدة .

وفي ساحة فيلادلفيا ، سمعنا حكايات مدهشة :

— يبدو ان الجنود الاسرائيليين الذين يتظاهرون بالشجاعة هم مقاتلون جبناء .

— وكيف ذلك ؟

— تصور أن قائد الدبابة التي تراها أمامك اصيب اثناء المعركة

لكنه مات حرقا وهو وراء المقود ، سلني لماذا ؟

— لماذا ؟

— لانه كان مشدودا الى مقعده .

— ماذا تقول ؟

— اجل كان مشدودا على مقعده ... شأنه في ذلك شأن جميع الذين يقودون الدبابات الاسرائيلية ، لان العدو لا يثق بشجاعة جنوده فيقيدهم على هذا النحو ليرغمهم على الثبات في المعركة .

كان الهدف الثاني « للحملة البوليسية التأديبية » مدينة الكرامه ، وهي مخيم يضم بين ٢٥ و٣٠ الف لاجىء ، ويقع على ١٥ كيلومترا الى الشمال الغربي من الشونه .

وعندما هبطت القوات الاسرائيلية في المدينة من طائرات الهليكوبتر التي نقلتها لم تصادف اية مقاومة ، لان السلطات الاردنية كانت قد اخلتها من ساكنيها قبل يومين استنادا الى تقارير توقعت هجوما معاديا عليها .

اجتاح الاسرائيليون المدينة — المخيم وعمدوا فورا الى نسف البيوت التي شيدتها وكالة الغوث عام ١٩٤٨ . وفي هذه الاثناء كانت فصائل من الفدائيين المحترفين ومن ابناء الكرامه تنتظر الوقت الملائم للتدخل .

ولما حان هذا الوقت الملائم باغت الفدائيون العدو وهو على وشك انجاز مهمته، وحطت على الاثر اشتباكات عنيفة ما لبثت ان انقلبت التحامات بعضها بالسلاح الابيض . وروى الاسرائيليون فيما بعد أن عشرين فدائيا تحصنوا داخل احد البيوت وظلوا يقاتلون بضراوة الى أن ابيدوا جميعا . وان فدائيين آخرين رفضوا الاستسلام بالرغم من وضعهم اليائس ، ما لم يطلقوا آخر رصاصة في حوزتهم .

وذكر الاسرائيليون كذلك انهم استخدموا القنابل المثيرة للدموع ليرغموا مجموعات من الفدائيين على الخروج من انفاق محفورة على نسق انفاق الفيتكونغ . وزعموا اخيرا انهم اسروا ١١٠ فدائيين واستولوا منهم على وثائق مهمة تتعلق بتنظيماتهم وخططهم .

نسف الاسرائيليون ٩٥ بالمئة من بيوت الكرامه اما عدد الضحايا ، فقد تعذرت معرفته بالضبط . أما الاسرائيليون فقد سقط منهم ٧٥ قتيلا ومئتا جريح ، على حد قول الاردنيين ، ولم يعرف شيء راهن عن خسائر

الاردنيين . وقد شهدنا في اليوم التالي جنازة الضباط والجنود الذين استشهدوا من غير ان نعرف عددهم بالضبط . كما شهدنا جنازة الذين استشهدوا من الفدائيين .

لا شك أن الجيش الاردني لم يواجه العدو وحده ، فقد تعاون مع الفدائيين الفلسطينيين . لكن ليس من السهل معرفة أي من الفريقين خف لمساندة الاخر ، خصوصا في الكرامه معقل الفدائيين .. مع العلم أن الجيش كان يعسكر بعيدا عن المدينة — المخيم مسافة خمسة كيلومترات فهل تدخل هو اولا ثم سانده الفدائيون ، ام أن هؤلاء شنوا على العدو هجوما مضادا فتدخلت مدفعية الجيش الاردني ودباباته لمساندة هذا الهجوم المضاد وتغطيته ؟

مهما يكن من امر ، فالمسافة القصيرة ، التي كان على الجيش الاردني اجتيازها للوصول الى الكرامه ، والرد السريع على العدو ، والقوات الكبيرة التي استخدمها هذا في هجومه ، والمشاق التي كابدها قبل ان يتمكن من عبور نهر الاردن عائدا الى قواعده ، كل هذا يجعل من غير المعقول ان لا يكون الجيش الاردني قد تدخل بقوة .

لقد ارتكبت اسرائيل غلطة استراتيجية ونفسية بشنها حملة ٢١ اذار ، لانها اذكت المقاومة العربية بتصديها لسحقها . وقد رأينا عبد الناصر في ٢٢ اذار يسارع الى الابتهاج بالانتصارات التي احرزها الاردنيون والفدائيون ويعيد الى القاهرة اجواء ٤ حزيران بالاناشيد العسكرية والاغاني الوطنية المثيرة .

وفي عمان نفسها عم الابتهاج وسكر الناس بخمرة الانتصار ، وانتهز الفدائيون ، وهم أبطال الساعة ، هذا الشعور العام فنشطوا لجمع التبرعات لحركتهم ، وفتحوا في المدينة مكاتب تطوع ، ما لبثت ان غصت بالراغبين ، في حمل السلاح والعمل الفدائي .

وفي هذه الاثناء كانت الامم المتحدة تشجب بالاجماع العدوان الاسرائيلي الجديد ، بينما كان المتحمسون في صفوف العرب يتحدثون عن الضفة الغربية وكأنها استعيدت بعد طرد العدو منها ... لكن من يدري فقد يحصل هذا عاجلا او آجلا ، فالوقت لا يهم ، اذ لا شأن له في حساب الشرق ، ادنى اكان ام اقصى . الم يقل يحيى حموده رئيس منظمة

التحرير الجديد : « لا تنسوا أن عملية طرد الصليبيين استغرقت قرنا كاملا . » ؟

واذا كان الفلسطينيون قد بدأوا يضيقون ذرعا بالخلافات العربية التي يدفعون ثمنها ، فالاردنيون في ٢١ آذار بدوا فخورين لانهم عملوا منفردين واحسنوا عملا .

ولما كان من حق الاردن ان يعتمد يوم ٢١ اذار على دعم مسلح بموجب الاتفاقات العسكرية العربية ، فقد وجهنا عشية ذلك اليوم الى أحد كبار موظفي وزارة الارشاد والاعلام ، وهو من أصل فلسطيني ، السؤال الاتي :

— هل دعمت الدول العربية قواتكم بما عزز مجهودها الدفاعي وساعدها بالتالي على **احباط الحملة الاسرائيلية ؟**

— طبعا فعلت .

— وكيف كان ذلك ؟

— باطلاق التصريحات والاكثار من الاناشيد العسكرية .

في عمان قليل من التصريحات وقليل من الموسيقى العسكرية ، وبالمقابل ظاهرة مقلقة : في كل مكان رجال بالبزة الخاصة بالفدائيين ، ينقلون رشيشاتهم بشكل ظاهر .

ظاهرة مقلقة لان هؤلاء الفدائيين الفلسطينيين — ومعظمهم من دعاة متابعة الكفاح المسلح الى النهاية — يقفون حجر عثرة في طريق حوار يمكن ان يحصل بين العرب والاسرائيليين . و« السلام العادل » الذي يطمح اليه الملك حسين ، لن يتحقق ما دام الحوار متعذرا .

وكيف نتصور قيام حوار بين اسرائيل والعرب ، مع وجود اكثر من نصف اراضي الاردن تحت الاحتلال ، وقد اضحى هذا الجزء مسرحا لنشاط الفدائيين ؟

لهذا يصر الاردن على انسحاب اسرائيل من المناطق التي احتلتها في حرب حزيران كشرط لبدء اي حوار .

والموافقة على هذا الشرط معناها تخلي اسرائيل عن القدس .

والقدس ، بالنسبة الى الاردن والعالم العربي كله ، جرح عميق متعدد الشفرات ، واهم هذه الشفرات طابع القدس الديني .

فللاسلام في المدينة المقدسة اماكن عبادة ومساجد ومقدسات شأنه

شأن اليهودية والنصرانية .

وباب المفاوضات الذي لا بد من فتحه للوصول الى حل للقضية الفلسطينية تحول دون فتحه عوامل ثلاثة : قضية القدس ومسألة اللاجئين ونشاط الفدائيين .

في ٢٥ اذار ١٩٦٨ رتب لنا بعض الاصدقاء لقاء مع احد كبار المسؤولين في صفوف الفدائيين ، في مخيم الكرامه الذي كان الاسرائيليون قد دمروه في ٢١ اذار . وقد دار الحديث بين المراسلين الاجانب والمسؤول داخل مستوصف لم يبق منه سوى الجدران والسقف . وتولى مراسلان اميركيان توجيه الاسئلة الى المسؤول المحاط باثني عشر مسلحا .

س ــ في معركة الكرامه تعاونتم للمرة الاولى مع الجيش الاردني، فماذا تنوون فعله بعد اليوم ؟

ج ــ معركة الكرامه ما هي الا مقدمة لما سوف يتبع ، فنحن الفلسطينيين نعمل للاجيال الصاعدة . وقد الجأنا الى اختيار هذا السبيل تقاعس الدول الكبرى والامم المتحدة عن حل القضية الفلسطينية .

س ــ لكن ما انتدبتم انفسكم للقيام به قد يستغرق وقتا طويلا جدا .

ج ــ هذا صحيح . فنحن نتوقع حربا طويلة الامد .

س ــ ماذا تريدون بالضبط ؟

ج ــ ما نريده واضح . نريد تحرير وطننا فلسطين . والمسألة بالنسبة الينا غاية في البساطة : اما ان نكون او لا نكون .

س ــ اتعتقدون ان الارهاب هو الاسلوب الصالح والطريقة المجدية ؟

ج ــ لا وسائل اخرى لدينا . وليس لدينا اية وسيلة تقريبا بالنسبة الى الاسرائيليين الذين تساعدونهم انتم الاميركيين ... ترى ماذا تسمون تدمير العدو للكرامه ؟

س ــ ما هو هدفكم من العمليات التي تقومون بها على الضفة الغربية ، وهل هو هدف سياسي ؟

ج ــ هدفنا انساني وليس سياسيا . نحن نطمح الى تحريك الرأي العام العالمي وجعل العالم العربي يهتز وضميره يستيقظ . وحدنا لا نستطيع الانتصار على العدو . لكن كل عملية نقوم بها يكون لها صداها

في العالم العربي . يوم الخميس قاتلنا طول ١٥ ساعة محرومين من أي دعم جوي . فعلى الذين يملكون الوسائل ان يمدوا لنا يد المساعدة اذا كانوا راغبين فعلا في الوصول الى نتيجة . وعند الاقتضاء سنرغمهم على تقديم هذه المساعدة .

س ــ هل تعتقدون ان الحرب هي الوسيلة الصالحة لحل القضية الفلسطينية ؟

ج ــ نحن نريد السلم . اما الحرب فالذي يريدها هم الاسرائيليون الذين طردونا من ارضنا . ولعلكم تجهلون ان الحرب التي يشنها الاسرائيليون على العرب ليست بنت البارحة ... نحن نريد سلما عادلا . واذا لزم الامر ارسلنا الى الولايات المتحدة خمسة ملايين عربي لمساعدة جونسون في ايجاد الحل السلمي .

وهنا اراد الفدائي المسؤول اشعال سيكارة ، فمد احد الحاضرين نحوه يدا تحمل ولاعة ، فتناولها لكنه وجد صعوبة في اشعالها ، ولما تمكن من ذلك قال وهو يضحك :

ــ هذا كل ما تستطيع اميركا ارساله الينا : ولاعات يتعذر اشعالها . هذه هي مساعدة الاميركيين لنا نحن العرب ، اما الاسرائيليون فتقدم لهم الميراج .

ــ لكن الميراج طائرات فرنسية .

ــ صحيح ، لكن اسرائيل اشترتها بالدولار ، والدولار عملة اميركية .

ــ ما تهمنا معرفته لتنوير الرأي العام كيف تنظمون انفسكم واين هي قواعد التدريب العائدة لكم ، ومن اين تتزودون بالاسلحة ، وكيف تدخلون هذه الاسلحة الى الاردن . كما نريد ان نعرف ما هي طريقتكم في القتال ومن يدفع ثمن تجهيزاتكم .

ــ الم تنس شيئا يا ترى ؟

ــ اذن انت لا تريد ان ترضي فضولنا ؟

ــ كل ما يمكنني قوله هو اننا نقاتل من أجل حقنا في العيش بسلام في وطننا ، فلسطين .

ــ سبق لك وقلت ذلك ، اذا كنت اطلب ايضاحات فمن أجل تنوير الرأي العام اطلبها .

— الرأي العام أو اسرائيل ؟

— قل لنا على الاقل اين تقع قواعدكم ، هل تقع خارج الاراضي المحتلة او في داخلها ؟

— في الداخل والخارج .

— أنا كنت في الجزائر في أثناء الحرب . وقد كانت قواعد المقاومة الجزائرية خارج البلاد .

— لا ، كانت قواعدها في الداخل والخارج .

— كانت قاعدة المقاومة الجزائرية في تونس .

— الذي يريد تحرير أرض يحتلها العدو يعمل في الداخل ومن الخارج . تذكر ديغول ... لقد كان في انكلترا ومنها اطلق حركة المقاومة الاولى التي تمركزت من ثم في فرنسا المحتلة .

— قلت منذ هنيهة انكم تريدون تحريك الرأي العام ، ومع هذا فأنت ترفض اعطاءنا الايضاحات اللازمة ، فما عسانا نكتب غدا لقرائنا ؟

— لكم قراؤكم ولي رجالي من الفدائيين . وحياة هؤلاء تهمني اكثر مما يهمني قراؤكم .

— كيف تريدني والحالة هذه أن أحرك الرأي العام ؟

— اجل البصر حواليك ثم قل الحقيقة ... الكرامه مدينة صغيرة كانت تضم ٣٠ الف لاجىء فلسطيني فغدت قاعا صفصفا . فماذا يريد الاسرائيليون ؟ أيريدون ان يجعلوا منا شعبا من اللاجئين ؟ ولست اكتمك أني عديم الثقة بالصحافة الغربية ، ولا استثني الا بضعة صحافيين يكتفون بوصف ما تقع عليه انظارهم . اما سائر الصحافيين فانهم يبدون استعدادا لقول الحقيقة وهم بين ظهرانينا ، ولكن ما ان يغادروا هذه البلاد حتى يعمدوا الى تشويه الحقائق .

« أنا لا اجهل ان الذنب ليس دائما ذنبهم . فالرأي العام الغربي يتأثر الى حد كبير بالدعاية الصهيونية التي تعرف كيف تضلله . فاذا اطلقنا نحن العرب رصاصة واحدة فالاسرائيليون لا يعدمون وسيلة لاستثارة نقمة الرأي العام العالمي علينا . واذا استولى الاسرائيليون على ارض يملكها سواهم وابادوا سكانها ودمروا كل شيء ، جندت دعاياتهم في الخارج من يبرر هذا الاعتداء بقوله : « قام الاسرائيليون بهذه الخطوة دفاعا عن انفسهم » . ونحن العرب نريد أن تنشروا اخبارنا في

الصفحات الاولى لكن بصدق وامانة ، وليس كما اعتدتم نشرها .

س — ما هي مآخذكم على اليهود ؟

ج — لا مآخذ لنا على اليهود الذين كانوا يقيمون مثلنا في فلسطين قبل ١٩٤٨ فقد كنا واياهم دائما على وفاق تام . ولنا اليوم بين هؤلاء العديد من المجندين ، وغالبا ما نجد في هذا التجنيد عونا لنا اثناء قيامنا بعمليات داخل اسرائيل .

س — كم يبلغ عدد هؤلاء اليهود المجندين ؟

ج — ٣٠٠٠ تقريبا .

س — هل انتم مستعدون للتعاون مع هذا الفريق من اليهود ؟

ج — طبعا . اليست فلسطين ارضهم بقدر ما هي ارضنا . لا مآخذ لي على اليهود ، ذلك ان ديننا يقول بالتسامح الديني ، لكني اناصب الصهيونيين العداء ... فالصهيونيون يتصرفون كما كان يتصرف النازي . اذ ماذا يفيدهم نسف المستشفيات والمدارس ، اليست هذه اساليب النازي البربرية . سنقاتل الصهيونيين الى ان نلقي بهم في البحر .

س — يقال ان ثمة تشكيلات عدة من الفدائيين ، فكم عدد هذه التشكيلات وما هي اسماؤها ؟ وهل اشتركت معكم في معارك يوم الخميس ؟

ج — ثمة حركة لتحرير فلسطين قوامها الشعب الفلسطيني . ويوم الخميس كان سكان الكرامه كافة يحملون السلاح ولا تنس ان الملك حسين قال أن جميع الاردنيين هم فدائيون . وقد قاتلنا نحن جنبا الى جنب مع الجيش الاردني نظرا لانعدام التكافوء بينه وبين القوات المعادية .

س — باية جهة انتم مرتبطون ؟

ج — لسنا مرتبطين باحد . اننا نناضل وحدنا وهذا يجعلنا قادرين على العمل بحرية وجدوى . وقد سبق لنا وارتبطنا بالعرب طيلة عشرين عاما ، واليكم النتيجة ! ..

واشار بحركة من يده الى الجدران التي احدث فيها رصاص الرشاشات ثقوبا لا تحصى .

س — منحكم الملك الجنسية الاردنية ؟

ج — أجل . لكني لست في عقر داري ، لا انا ولا سائر اللاجئين . فالمسألة ليست مسألة وثيقة تضفي على وضعك طابعا قانونيا وتعترف

لك بالحقوق المعترف بها للمواطنين ، فالمرء يكون في عقر داره عندما يشعر بالامان والاستقرار .

س — الا تشعر بالامان والاستقرار وانت في الاردن ؟

ج — كما لم اشعر به وانا في موسكو وبراغ حيث احسنوا وفادتي ومعاملتي . واؤكد لك اني اشعر وانا على الضفة الاخرى بامان وراحة لا اشعر بهما هنا ، لاني عندما اكون هناك اكون في موطني ... انه شعور طبيعي يغمر الانسان اذ يطأ الارض التي ابصر النور عليها . يمكنك نقل هذا الكلام الى قرائك .

س — سأفعل . لكن قراءي سيطالبونني بالوقائع . لهذا يهمني ان اعرف كم عددكم انتم الفدائيين على الضفة الغربية .

ج — عددنا يكفي للقيام بعمليات ناجحة . سل موشي دايان فعنده الخبر اليقين .

س — هل صحيح ان الفدائيين هم الذين تسببوا بالجراح التي أصيب بها دايان ؟

ج — لا ، ان الذين فعلوا ذلك هم الاميركيون .

س — كيف تعبرون النهر من ضفة الى ضفة وكيف تؤمنون الاتصال برفاقكم الذين يعملون على الضفة الغربية ؟

ج — الاسرائيليون يدفعون لي مليونا لقاء معلومات كهذه . فهل لديك انت هذا المليون ؟

س — اذا استرجعتم فلسطين ذات يوم فما هو نظام الحكم الذي ستعتمدون ؟

ج — لم يحن بعد وقت التفكير بهذا الامر ، وقبل اختيار نظام الحكم تنبغي تنشئة الشعب تنشئة صالحة وتعليمه ، ونحن نقوم الان بهذه المهمة بالرغم من انهماكنا في القتال لاسترجاع ما سلبونا اياه .